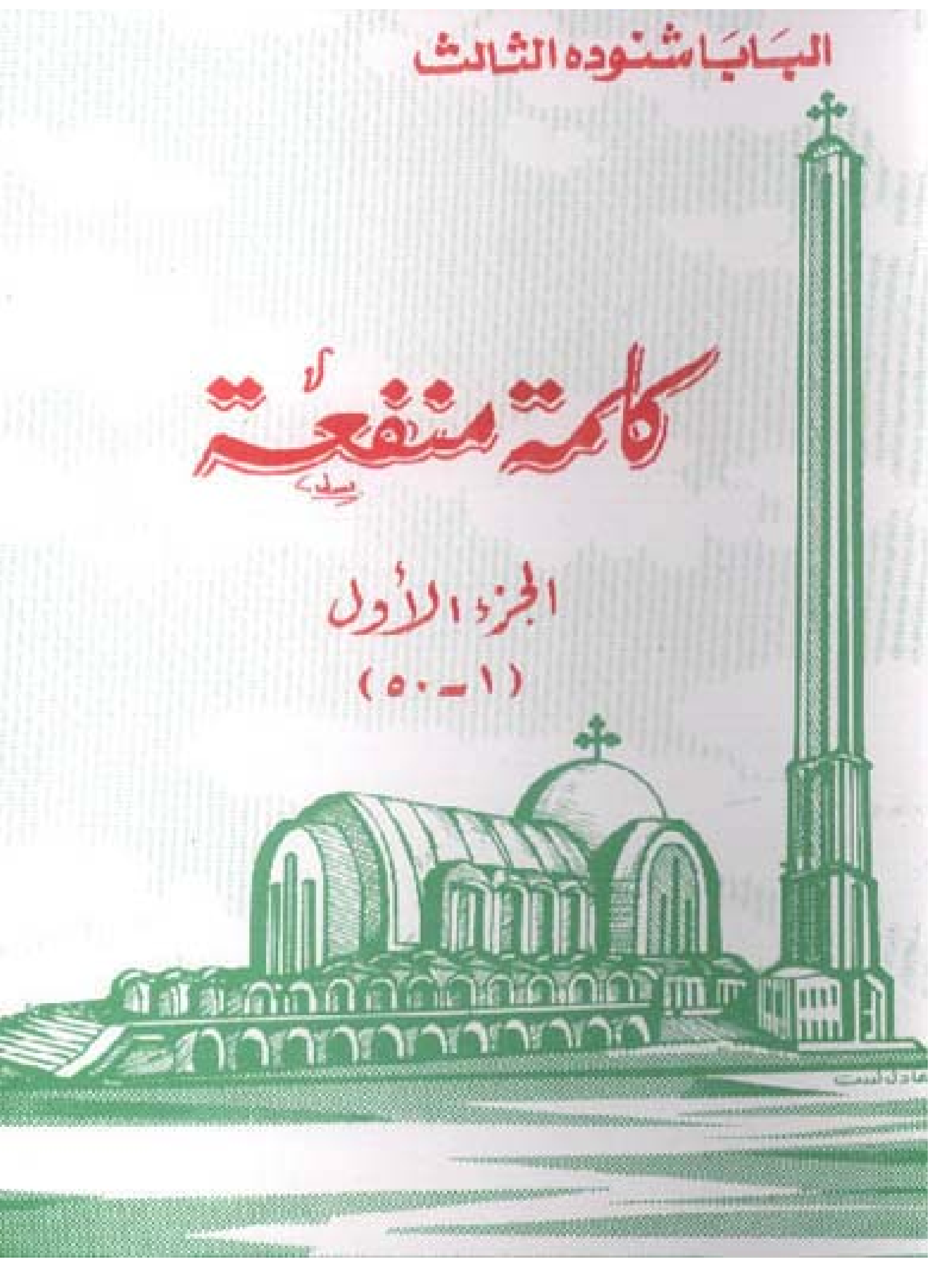
htm



كتب قداسة البابا شنودة الثالث


البابا شنوده الثالث
كلمة منفعة
الجزء الأول
(١ - ٥٠)

قداسة البابا شنوده الثالث

١٠٠ كلمة منفعة

الجزء الأول (من ١ إلى ٥٠)

Words Of Spiritual Benefit
Vol. I From 1 - 50
By
H.H. POPE SHENOUDA III

2nd reprint
APRIL 1981

الطبعة الثانية
ابريـــل ١٩٨١



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تصــــدير

هذه الكلمات قُصد بها أن تكون موجزة ومركزة ،
تصلح لمن لا يجد وقتاً لقراءة المقالات المطولة .
كل كلمة منها تقدم لك معنى روحياً خاصاً ،
يمكن أن تقرأه وحده ، قائماً بذاته ...
نضعها بين يديك ، ليس لكى تضيفها إلى معلوماتك ،
إنما لكى تضيفها إلى حياتك ...
أمامك الجزء الأول من هذه الكلمات ،
وأمام المطبعة الجزء الثانى منها ...
فإلى لقاء قريب مع باقى الكلمات ...

شنوده الثالث

١٠ يوليو ١٩٨٠ (٣ أبيب)
تذكار البابا كيرلس عمود الدين

[١] الهدوء

الهدوء صفة جميلة يتصف بها الإنسان الروحى ، ومنها :

هدوء القلب ، وهدوء الأعصاب ، وهدوء الفكر ، وهدوء الحواس ، وهدوء التصرف ، وهدوء الجسد .

الإنسان الهادىء ، لا يضطرب قلبه لأى سبب ، ولا يفقد هدوءه مهما ثارت المشاكل . وكما قال داود النبى « إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ قتال ، ففى هذا أنا مطمئن » . إنه هدوء مصدره الإيمان ...

إن فقد الإنسان هدوءه من الداخل ، يبدو أمامه كل شىء مضطرباً ، وكل شىء بسيط يبدو معقداً .

إن التعقيد ليس فى الخارج ، وإنما فى داخله ...

وإن هدأ القلب ، يمكن أن تهدأ الأعصاب أيضاً . فلا يثور الشخص ، وإنما يحل الإشكال فى هدوء ...

إن العقل إذا عجز عن حل أمر ما ، تتدخل الأعصاب لحله . وقد تعلن الأعصاب الثائرة عن قلة الحيلة وفقدان الوسيلة . وكلما تعبت الأعصاب ، تزداد ثورتها ...

والشخص الهادىء قلباً وأعصاباً، يمكنه أن يكتسب الهدوء فى التفكير وفى التصرف، فيفكر تفكيراً متزناً مرتباً بغير تشويش، ويتصرف فى اتزان وفى هدوء، ليس فى صخب الإنفعال، ولا فى إضطراب الأعصاب.

ومما يساعد على الهدوء الداخلى، الهدوء الخارجى: هدوء المكان، وهدوء البيئة، والبعد عن المؤثرات المثيرة.

لذلك فإن الرهبان الذين يعيشون فى هدوء البرية، بعيداً عن الضوضاء، وعن صياح الناس، وعن إثارات الأخبار والأحداث، هؤلاء يكون تفكيرهم أكثر هدوءاً، وتكون قلوبهم وأعصابهم هادئة. ويكونون فى الغالب قد اعتادوا الهدوء...

وحياة الوحدة والإنفراد، تجلب الهدوء عموماً، بسبب هدوء الحواس. لأن الحواس هى أبواب للفكر كما يقول القديسون. فما تراه وما تسمعه وما تلمسه، يجلب لك فكراً. فإن استراحت حواسك من جمع الأخبار، استراحت نفسك من الأفكار...

والمكان الهادىء يساعد على هدوء الحواس، وبالتالى هدوء الفكر وهدوء القلب وهدوء الأعصاب. لذلك فإن الكثيرين يبعدون عن الأماكن الصاخبة إلتماساً للهدوء...

إن محبى الهدوء يبحثون عنه بكل قواهم، ولكن البعض - للأسف - يحبون الصخب، ولا يعيشون إلا فيه، ويسأمون من الهدوء!

[٢] كيف تعامل الناس

هناك وسائل عديدة تستطيع أن تنجح بها فى معاملة الناس ، وتكسب قلوبهم ، وبهذا تقودهم بالحب فى طريق روحى ، وكما قال الكتاب « رابح النفوس حكيم » .

١ ـ حقق للناس فى حياتك المثاليات التى يشتهونها .

٢ ـ إزهد فيما فى أيدى الناس ، يحبك الناس . لا تشعر الغير بأنك تتخذ منهم موقف المنافس ، الذى يريد أن يستولى على ما فى أيديهم ، أو ما يريدون الحصول عليه .

٣ ـ احتمل غيرك فى وقت ضعفه أو فى وقت خطئه ، واكسبه بطول البال وبالصفح ، وبسعة الصدر: فلا شك أنه سيندم على ما أساء به إليك حينما يخلو إلى نفسه .

٤ ـ إمدح الناس ، وأشعرهم بتقديرك لهم ، وبأن كل خير يعملونه هو موضع إعجابك ، ولا يخفى عليك .

٥ ـ إحترم غيرك ، وعامل الكل بأدب ، ليس فقط الكبار منهم ، أو من أنت مجبر على احترامهم ، بل حتى الصغار أيضاً ومن هم أقل منك سناً ودرجة .

٦ ـ إعمل على بناء الناس ، وليس على تحطيمهم .

٧ ـ لا تكن كثير التوبيخ للناس ، وإن اضطررت لذلك ليكن ذلك دون أن تجرح أحداً ، ولا تسيء الظن بالناس ، ولا تحاول أن تصطادهم بتصرف أو بكلمة ، ولا تشعرهم بأنك تتخذ منهم موقف المنتقد أو موقف العدو.

٨ ـ أعذر الناس ودافع عنهم بقدر ما تستطيع ، بأسلوب الحق لا بأسلوب النفاق ، وبقدر ما يحتمل الموقف ، بطريقة سليمة لا رياء فيها ولا مجاملة فيها على حساب الحق .

٩ ـ إعطِ باستمرار وابذل ، والذى لا تستطيع أن تعطيه معونة ، قدم له كلمة طيبة ، أو ابتسامة لطيفة ، أو مجاملة حقة ، وقم بواجبك نحو الكل دون تقصير .

١٠ ـ عامل الناس باتضاع ووداعة ، برقة ولطف ، فاللطف من ثمار الروح القدس كما قال الرسول (غل ٥ : ٢٢) .

١١ ـ إفهم الناس ، واجعلهم يفهمونك بهدوء وبروح طيبة ، وهكذا عش معهم فى التفاهم المتبادل ، بالمحبة والهدوء ...

١٢ ـ أدخل فى علاقات المشاركة الوجدانية المتبادلة «فرحاً مع الفرحين ، وبكاءً مع الباكين» ، لا تترك مناسبة تطيب بها قلوب الناس دون أن تشترك فيها .

***

[٣] الأمانة فى القليل

قال الكتاب :

« كنت أميناً فى القليل ، فسأقيمك على الكثير » .

أى كنت أميناً فى الأرضيات ، فسأقيمك على السمائيات . كنت أميناً فى هذا العالم الحاضر ، فسأقيمك على الأبدية ...

ويمكن تطبيق هذا المبدأ فى مجالات شتى كثيرة ...

* إن كنت أميناً فى محبتك للقريب ، يمكن أن يقيمك الرب على محبة العدو ، أى يعطيك النعمة التى تستطيع بها أن تحب عدوك ...

* إن كنت أميناً من جهة خدمة الرب فى وقت فراغك ، يمكن أن يهبك الرب الحب الذى به تكرس حياتك كلها له .

* إن كنت أميناً من جهة عدم قبولك للخطايا الإرادية ، يمكن أن ينقذك الرب من الخطايا غير الإرادية ...

* إن كنت أميناً فى حفظ عقلك الواعى من الفكر الشرير ، يعطيك الرب حينئذ نقاوة العقل الباطن ، و يعطيك الرب أيضاً نقاوة الأحلام ...

* إن كنت أميناً فى سن الطفولة ، يقيمك الرب على الأمانة فى سن الشباب ، وهى أكثر حروباً .

* إن كنت أميناً من جهة عدم إدانة الآخرين بلسانك ، حينئذ يعطيك الرب عدم الإدانة بالفكر وهى أصعب .

* و بالمثل إن كنت أميناً فى ضبط نفسك من جهة الغضب الخارجى الظاهر، حينئذ يهبك الرب النقاوة من الغضب الداخلى أيضاً ، النقاوة من الغيظ والحقد وأفكار الغضب .

*إن كنت أميناً فى الروحيات العادية (ثمار الروح) ، يمكن أن يقيمك الرب على مواهب الروح ، و بدون الأمانة فى الأولى لا تعطى الثانية .

إن الله يختبرك أولاً فى الشيء القليل فإن وجدك أميناً فيه ، حينئذ يأتمنك على ما هو أكثر. أما إن أظهرت فشلك وعدم أمانتك فى القليل ، فمن الصعب أن يقيمك على الكثير...

وكما قال الكتاب « إن جر يت مع المشاة فأتعبوك ، فكيف تستطيع أن تبارى الخيل ؟ » .

العجيب أن كثير ين يظنون فى أنفسهم القدرة على القيام بمسئوليات كبيرة بينما هم عاجزون عن القيام بما هو أقل منها . النعمة التى معهم لا يستخدمونها ، ومع ذلك يطالبون بنعمة أكبر، ناسين قول الرب « كنت أميناً فى القليل ، فسأقيمك على الكثير» (مت ٢٥ : ٢١) ، إنه شرط ...

* * *

[٤] فرح ... وفرح

هناك فرح تافه بأمور العالم الزائلة، ومتعها ...

ومثلها فرح سليمان بكل تعبه الذى تعبه تحت الشمس (جا٣)، ومثلما فرح يونان باليقطينة بينما لم يفرح بخلاص نينوى. ومن هذا النوع فرح الإبن الكبير بقوله لأبيه «وقط لم تعطنى جدياً لأفرح مع أصدقائى» (لو١٥: ٢٩) ...

ومن الفرح الزائف، فرح بعض الناس بالمواهب:

كما فرح التلاميذ بإخراج الشياطين، فقال لهم الرب «لا تفرحوا بهذا، أن الشياطين تخضع لكم، بل افرحوا بالحرى أن أسمائكم قد كتبت فى ملكوت الله».

ولعل أسوأ أنواع الفرح، الفرح بالألم:

وعن هذا قال الرسول «المحبة لا تفرح بالإثم» (١كو١٣)، كمن يفرح بضياع الناس أو خسارتهم. وقد قال سليمان الحكيم لا تفرح بسقوط عدوك» (أم٢٤: ١٧). وهذا الفرح الردىء يسمونه (الشماتة).

أما الفرح المقدس، فهو من ثمار الروح (غل ٥: ٢٣)

لقد فرح التلاميذ لما رأوا الرب، وفرح المجوس لما رأوا النجم، وفرح الصديقون بثمار تعبهم المقدس «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج»

وشرح لنا الكتاب الفرح بالخلاص، والفرح بالبشارة:

وهكذا قال الملاك للرعاة « ها أنا أبشركم بفرح عظيم، أنه ولد لكم مخلص ... ». وعن فرح الخلاص قال المرتل « إمنحنى بهجة خلاصك » (مز٥٠). وقال الأب « كان ينبغى أن نفرح ونُسر، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش » (لو١٥: ٣٢).

والفرح بتوبة التائب يكون فى السماء والأرض:

فحينما وجد الراعى الصالح خروفه الضال « حمله على منكبيه فرحاً »، وقال أيضاً « يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب » (لو١٥: ٦، ٧). وقد فرحت الأرملة بوجود درهمها الضائع، ودعت جميع جيرانها ليفرحوا معها.

ونحن نفرح أيضاً بجميع وسائط النعمة ...

« فرحت بشهاداتك »، « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » (مز١٢٢: ١)، « مجارى الأنهار تفرح مدينة الله » ...

بل الصديقون يفرحون أيضاً بالتجارب (يع ١) وبالتأديب:

« إحسبوه كل فرح يا إخوتى، حينما تقعون فى تجارب متنوعة »، « لذلك أُسر بالضيقات، بالضرورات ».

ولعل أعظم فرح، هو فرح الملكوت:

« أدخل إلى فرح سيدك، هذا هو الفرح الحقيق. فيه نفرح بالرب، وبلقياه وعشرته، وإن كنا لم نصل بعد إلى الملكوت، فإننا نفرح بانتظاره، بالرجاء ». « **فرحين فى الرجاء** » كما قال الرسول (رو١٢).

[٥] مشكلة الأعذار

كثيرون يقدمون أعذاراً ، يغطون بها بعض خطاياهم حتى لا يلاموا ، أو يغطون بها تقصيراتهم فى عمل الخير...

إنه خطأ قديم ، يرجع إلى أيام أبوينا آدم وحواء !

حواء اعتذرت بأن الحية أغرتها ، وكان يمكنها ألا تطيع الحية ، فالعذر غير مقبول ، تماماً مثل عذر آدم بأن المرأة أعطته ، وكان فى إمكانه ألا يسمع لها ...

حقاً ... ما أصدق عبارة : أن طريق جهنم مغروس بالأعذار!

حتى الذى دفن وزنته فى التراب ، قدم لفعلته هذه عذراً هو أقبح من الذنب نفسه ، فقال إن سيده ظالم ، يحصد من حيث لا يزرع !!

وما أكثر الذين يعتذرون عن عدم الصلاة ، بأنه ليس لديهم وقت ! بينما يجدون وقتاً للتسليات العديدة وللمقابلات ، والحقيقة إنه ليست لديهم رغبة ! ...

وغالبية الذين لا يقدمون عشورهم للرب ، يقدمون بدلاً منها أعذاراً ، بأنه ليس لهم ، بينما الأرملة التى دفعت الفلسين من أعوازها ، لم تقدم عذراً . وكذلك أرملة صرفة صيدا التى قدمت زيتها ودقيقها لإيليا النبى فى أيام المجاعة ، وهى فى مسيس الحاجة ...

إن داود الطفل الصغير، كانت أمامه أعذاراً كثيرة يمكنه أن

يقدمها ، لو أنه لم يشأ مقاتلة جليات ! ...

إنه لم يكن جندياً ولم يطالبه أحد بهذا الأمر، وكان صغير السن ، وقد سكت الكبار، وكان جليات جباراً ليس من السهل مصارعته ... الخ ، ولكن غيرة داود المتقدة لم تسمح بتقديم عذر...

واللص اليمين ، كانت أمامه أعذار ضد الإيمان لم يستخدمها !

كيف يؤمن بإله يراه مصلوباً أمامه ؟ و يبدو عاجزاً عن تخليص نفسه ، وترن فى أذنيه تحقيرات الناس له وتحدياتهم ... ومع ذلك لم يسمح اللص لنفسه أن يعتذر عن الإيمان ...

إن الخوف لم يكن عذراً يقدمه دانيال أمام جب الأسود ، ولا عذراً يقدمه الثلاثة فتية أمام أتون النار...

ولا محبة الإبن الوحيد ، أمكنها أن تقف عذراً أمام ابراهيم حينما أمره الله أن يقدم هذا الإبن محرقة ، وقد كان إبن الموعد الذى ولد له بعد عشرات السنوات !!

وأصحاب المفلوج ، كانت أمامهم أعذار، لو أنهم أرادوا ... ولكنهم لم يعترفوا بالعقبات ، وصعدوا إلى السقف ونقبوه وأنزلوا المفلوج بالحبال.

إن الذى ينتصر على العقبات ، فلا يعتذر بها ، إنما يدل على صدق نيته فى الداخل ...

أما ضعيف العزيمة ، أو ضعيف النية ، فيُذكّرنا بقول الكتاب « قال الكسلان : الأسد فى الطريق » !

[٦] الصوم وروحانيته

الصوم ليس مجرد فضيلة جسدية ...

إنه ليس مجرد الإمتناع عن الطعام فترة زمنية ، ثم الإنقطاع عن الأطعمة ذات الدسم الحيوانى ، إنما هناك عنصر روحى فيه ...

أول عنصر روحى فيه هو السيطرة على الإرادة ...

بنفس الإرادة التى تحكمت فى الطعام ، يمكن أيضاً السيطرة على الكلام ، بالإمتناع عن كل لفظ غير لائق ، وكذلك السيطرة على الفكر وعلى المشاعر.

قال مار اسحق : « صوم اللسان خير من صوم الفم . وصوم القلب عن الشهوات ، خير من صوم الإثنين » .

العنصر الثانى فى الصوم الروحى ، هو التوبة :

ونلاحظ فى صوم أهل نينوى ، أنهم لم يصوموا فقط ، وإنما أيضاً « رجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم » وأن الرب نظر إلى هذه التوبة أكثر مما نظر إلى الصوم « فلما رأى الله أعمالهم ، أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونان ٣ : ٨-١٠) .

وهكذا يصحب الصوم أيضاً بالتذلل والإنسحاق أمام الله :

وهذا واضح فى صوم نينوى ، إذ لبسوا المسوح وجلسوا على الرماد . كما هو واضح فى سفر يوئيل : «قدسوا صوماً ، نادوا باعتكاف ... ليخرج العريس من مخدعه ، والعروس من حجلتها . ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ، و يقولوا : إشفق يارب على شعبك » (يوئيل ٢ : ١٥-١٧) .

والصوم لا يقتصر على منع الجسد من غذائه ، وإنما يجب فيه من الناحية الإيجابية تقديم غذاء للروح .

وهكذا يرتبط الصوم بالصلاة ، كما تذكر صلوات الكنيسة ، وكما حدث فى كل الأصوام المشهورة فى الكتاب ، كصوم نحميا وعزرا ودانيال وأهل نينوى ...

وكما تدل عليه عبارة « نادوا باعتكاف » ...

إنه فرصة روحية ، تذل فيه الجسد ، لتسمو الروح :

إذلال الجسد هو مجرد وسيلة . أما الغرض فهو سمو الروح ، فتأخذ فرصتها فى الصلاة والتأمل والقراءة وكل وسائط النعمة ، بعيداً عن معطلات الجسد ...

ونلاحظ أن الصوم غير الروحى مرفوض من الله :

كما رفض صوم المرائين (مت ٥) ، وصوم الفريسى (لو١٨ : ٩) .
والصوم الخاطىء فى سفر أشعياء (أش٥٨ : ٣-٧) .

❀ ❀ ❀

[٧] الحنطة والزوان

ليس عملك أن تخلع الزوان ، إنما أن تنمو كحنطة ، حتى إذا ما جاء الحاصد العظيم ، يجد سنابلك مملوءة قمحاً ، فيجمع منها ثلاثين وستين ومائة ، وتمتلىء أهراؤه حنطة .

السيد المسيح لم يضيع وقته فى مقاومة أخطاء زمنه ...

لم ينفق فترة تجسده على الأرض صراعاً مع المخطئين ومشاكل المجتمع والكنيسة ، إنما إهتم بالبناء ، بإرساء مبادىء جديدة ، وإعداد أشخاص يؤمنون بها و ينشرونها فى كل مكان .

إن الإنهماك فى خلع الزوان ، فيه تبديد للطاقات ...

الشيطان مستعد أن يشغلك كل حين بالمشاكل ، وأن يقدم لك ما لا يحصى من الأخطاء ، لكى يلهيك بمقاومتها ومحاربتها ، عن العمل فى بناء نفسك و بناء الملكوت .

وفى هذا الصراع يبدد وقتك وجهودك وأعصابك .

وفى خلع الزوان أيضاً قد تفقد سلامك الداخلى ، وربما سلامك مع الناس أيضاً ، إذ تحيا فى صراع .

وهكذا تفقد هدوءك وصفاءك وربما تفقد وداعتك أيضاً . وقد تدخلك المشاكل فى جو من الإضطراب ومن الخلافات التى لا تنتهى ، والتى تثيرك وتحيطك بالإنفعال الدائم .

وكما تفقد وداعتك وهدوءك ، قد تفقد بشاشتك أيضاً ، ولا يراك الناس إلا متجهماً لا ابتسامة لك ، وربما يملكك الغضب ويملكك الحزن ، ولا تحاول أن تتخلص منهما لأنك تحسبه غضباً وحزناً مقدساً ، لأجل الله ...

وقد يوصلك كل هذا ، إلى قساوة القلب ...

باستمرار تدين الناس المخطئين ، ثائراً على ما فيهم من أخطاء ، بحجة خلع الزوان منهم ، و باستمرار تكون فى ضجيج ، وقد يرتفع صوتك على الناس ، وتنتهر ، وتوبِّخ ، وتنفث التهديدات ، وتكون متبرماً بكل شيء ...

وفى كل هذا ، قد تفقد محبتك للناس ، وتفقد إتضاعك ، وفيما تخلع الزوان من الناس ، تكون قد خلعت الحنطة التى فيك ، و ينظر إليك الناس ، فيرونك مثل الزوان فى كل شيء ...

قليلون هم الذين يستطيعون أن يخلعوا الزوان ، وفى نفس الوقت يحتفظون بحنطتهم . لذلك حسناً منع الرب أولاده من خلع الزوان ، لئلا يخلعوا معه الحنطة .

وحسناً قال الكتاب « لا تقاوموا الشر » ...

إن أحسن طريقة لخلع الزوان ، هى تقديم القدوة الصالحة التى تقضى عليه ، وكما قال الحكيم : « بدلاً من أن تلعنوا الظلام ، أضيئوا شمعة » ...



[٨] طرق لحل المشاكل

كل إنسان معرض للوقوع فى مشاكل، ولكن المهم هو كيف يعالج المشكلة ويحلها.

البعض يحاول أن يعالج المشكلة بالعنف وبالإصطدام.

سواء كان عنفاً مادياً، أو عنفاً فى التصرف، أو عنفاً فى الكلام. حيث يحتد على من تسبب فى المشكلة، ويثور، ويستخدم القوة والصوت العالى، ويصطدم بالناس، وربما فى إصطدامه بهم يخسرهم ويفقد صداقتهم ومحبتهم ...

وإنسان آخر، يحل المشكلة بالسلطة، وبالأوامر والنواهى، يحدث هذا بالنسبة لأب مع أولاده، أو زوج مع زوجته، أو رئيس مع مرؤوسيه. والسلطة أمر سهل، لا يكلف صاحبه شيئاً. ولكن للسلطة ردود فعل كثيرة، قد تكون أيضاً بنفس العنف، وقد تؤدى إلى التمرد على السلطة... وعلى الأقل ان انحلت المشكلة من الخارج، لا تنحل فى داخل القلب وفى المشاعر والعلاقات.

والبعض يقابل المشكلة بالهروب، ويظن الهروب علاجاً...

هو لا يواجه المشكلة، وإنما يحاول أن يؤجلها، أو يبعد عنها ويهرب منها. ولكن فى كل هذا لا يحلها... قد تعاوده المشكلة بعد حين وتتعبه، أو تظل أمامه قائمة.

وقد يحاول البعض أن يحل المشكلة بتجاهلها ...

يحاول أن يقنع نفسه بأنه لا توجد مشكلة . و يظن أنه إن أغمض عينيه عنها سوف لا يراها ، وبهذا لا تتعبه ! وتظل المشكلة قائمة ، ولكنه لا يتكلم عنها ، ولا يفكر فيها ، ولا يفحصها ...

ولكن المشاكل لها حلول كثيرة ...

تحل بالتفكير الهادىء السليم ، و بالحكمة ، كما كان سليمان الحكيم يحل المشاكل التي تعرض له أو عليه .

وتحل المشكلة بالصلاة ، بعرضها على الله ، و بأصوام أحياناً وقداسات ، كما كان يفعل القديسون ...

وإن كانت بعض المشاكل تحتاج إلى بت سريع ، إلا أن مشاكل أخرى قد تحل بالصبر وطول البال ...

ليس من اللائق أن تحل المشكلة بمشكلة .

ولا يليق أن تحل المشكلة بخطأ ، أو بطريق غير روحي ، مثل أولئك الذين يحلون المشاكل بالكذب ، أو بالدهاء ، أو بالحيلة البشرية واللف والدوران ، أو بخداع الناس !!

* * *

[٩] كلمات تعزية فى الشدائد

قال داود النبي للرب : « أذكر لى كلامك الذى جعلتنى عليه أتكل ، هذا الذى عزانى فى مذلتى » ، وأنت أيضاً فى فترات مذلتك وضيقتك ، أذكر الآيات الآتية فتتعزى :

* ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠)
* كل آلة صورت ضدك لا تنجح .
* « لا تخف لأنى معك » ، « أنا هو لا تخافوا » .
* قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٤)
* لولا أن الرب كان معنا ... حين قام الناس علينا لا بتلعونا ونحن أحياء ... مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم . نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا . عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض (مز ١٢٤)
* الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين .
* وها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض (تك ٢٨ : ١٥)
* يحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك يقول الرب ، لأنقذك (أر ١ : ١٩)

* لا تخف . بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك . ولا يقع بك أحد ليؤذيك (أع١٨ : ٩، ١٠).

* فى العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا ، أنا قد غلبت العالم .

* مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى ... وإنهم لم يقدروا علىَّ ... على ظهرى جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم . الرب صدّيق هويقطع أعناق الخطاة (مز١٢٩).

* دُفعت لأسقط والرب عضدنى (مز١١٧).

* إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى (مز٢٢).

* يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات ، وأما أنت فلا يقتربون إليك . بل بعينيك تتأمل ، ومجازاة الخطاة تُبصر (مز٩٠).

* الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ نفسك . الرب يحفظ دخولك وخروجك (مز١٢١).

* الرب نورى وخلاصى ، ممن أخاف ؟! الرب عاضد حياتى ، ممن أرتعب ؟! إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىَّ قتال ففى هذا أنا مطمئن (مز٢٦).

* تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . استله وانجح واملك .

* أبواب الجحيم لن تقوى عليها ...

❊ ❊ ❊

[١٠] التفكير النظرى والحياة العملية

التفكير النظرى ، هو مجرد فكر ، بلا خبرة ، بلا دراسة ميدانية للواقع ومافيه ... يتخيل هذا التفكير أن الأمور تسير طبيعية جداً ، بلا معطلات فى الطريق ! ... تسير حسب قوانين معينة يضعها هذا المفكر فى ذهنه .

تماماً مثل شخص يقول إن المسافة فى البحر بين بلدين هى كذا ميل . فإذا سافرت السفينة بسرعة معينة ، تصل فى كذا يوم وكذا ساعة ... ثم تنزل السفينة فى الواقع العملى ، وقد تصدمها الأمواج والرياح فلا تستطيع الحركة ، وربما تقاوم بصعوبة أو تغيّر إتجاهها ... وتصل بعد أيام ، أو لا تصل !!

إن الواقع العملى مملوء بالعوائق والمعطلات ، التى لا يعرفها إلا من اختبر الحياة العملية فى تفاصيلها .

المفكر النظرى يجلس على مكتب ، ويكتب أفكاراً ، مجرد أفكار... وقد يتعجب لماذا لم تنفذ !! وربما ينتقد ويلوم ، وربما يصل به الإنتقاد إلى حد الإتهام ! ... على الأقل إتهام غيره بالتقصير ، أو التهاون ، أو عدم المعرفة !!

وفى اتهاماته النظرية ، لا يدرى شيئاً عن العوائق العملية . وعلى رأى المثل « ويل لعالم أمر من جاهله » .

فلو علم هذا المفكر بطبيعة الجو، و بالنتائج العملية، و بالعقبات، ربما صحح الكثير من تفكيره ...

إن عائقاً وحيداً، ربما يقلب خططاً كثيرة حكيمة ...

والإنسان العملى، الذى اصطدم بالواقع وجرب الحياة، يدرك تماماً أن الأمور لا تسير وفق خططه وحسب هواه.

إنه خبير بالأرض التى يمشى عليها ... يفترض بعض خططه، فإن هذا أيضاً موضوع فى حسابه ... وكل فشل يقابله، يز يده حنكة وخبرة، ويجعل تفكيره المقبل أكثر واقعية ...

المفكر النظرى قد يظن أن الإصلاح يتم بإصدار مجموعة من الأوامر والقرارات ... أما المفكر العملى، فيسأل ماذا عساها تكون فاعلية هذه القرارات ...

وإذا أصدر قراراً يتابعه عملياً، ليرى خط سيره، هل سار طبيعياً، أم توقف ؟ وما الذى أوقفه ؟ وما علاجه ؟ وهل يحتاج القرار إلى تعديلات ؟ ...

يا أخى، لا تكن نظر ياً فى تفكيرك، ولا تنتقد غيرك بسرعة. بل إدرس الواقع، وكن عملياً ...

* * *

[١١] الغضب البشرى

أحياناً يوجد غضب مقدس من أجل الله ، ولكنه لا يتصف بالعصبية وفقدان الأعصاب ، إنما هو غيرة مقدسة .

أما الغضب البشرى فيقول عنه يعقوب الرسول « ... لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله » (يع ١ : ٢٠)

وما أكثر أقوال الآباء القديسين فى ذم الغضب .

قال مار أوغريس « صلاة الغضوب هى بخور نجس مرذول ، وقربان الغضوب ذبيحة غير مقبولة » . وقال أيضاً « إن الغضب هو حركة للجنون ... يجعل النفس مثل الوحوش ... عينا الغضوب شريرتان مملوءتان دماً . أما وجه الوديع فهو بهى ، وعيناه تنظران بحشمة » ...

وكان الأنبا أغاثون يقول : لو أن الغضوب أقام أمواتاً ، فما هو مقبول عند الله ، ولن يقبل إليه أحد من الناس .

قال شيخ : إن الذى يخاصمه أخوه ولا يحزن قلبه ، فقد تشبه بالملائكة . فإن خاصمه هو أيضاً ، ثم رجع لساعته فصالحه ، فهذا هو عمل المجاهدين . أما الذى يحزن أخوته ، ويحزن منهم ، ويمسك الحقد فى قلبه ، فهذا مطيع للشيطان ، مخالف لله ، ولا يغفر له الله ذنوبه إذا لم يغفر هو لأخوته ...

وقال مار افرام السريانى : السخوط يقتل نفسه . وهو غريب عن الملامة وعادم الصحة ، لأن جسمه يذوب كل حين ، ونفسه مغمومة . وهو ممقوت من الكل .

وقال مار افرام أيضاً : من يخفى فى قلبه حقداً ، يضاهى من يربى فى حجره حية . الدخان يطرد النحل ، والحقد يطرد المعرفة من القلب .

وقال أنبا أشعياء : الغضب هو أنك تريد أن تقيم هواك وتغلب بالمقاومة ، وما قطعت هواك بالإتضاع .

وقال القديس أوغسطينوس : ما هو الغضب ؟ إنه شهوة الإنتقام... وإن كان الله على الرغم من إساءاتنا ، إلا أنه لا يشاء أن ينتقم لنفسه منا ، فهل نطلب نحن أن ننتقم لأنفسنا ، ونحن نخطىء فى كل يوم إلى الله ؟!

وقال القديس اغريغوريوس أسقف نيصص : إن الغضب يجعل المرارة السوداء تنتشر فى الجسد كله ...

وقال القديس يوحنا الأسيوطى : سلاح الغضب يؤذى صاحبه... الغضب فى القلب مثل السوس فى الخشب .

وإن رجعنا إلى الكتاب المقدس ، نجده يقول « لا تسرع إلى الغضب ، لأن الغضب يستقر فى حضن الجهال » (جا٧ : ٩) ، ويقول أيضاً « لا تستصحب غضوباً ، ومع رجل ساخط لا تجىء ... » (أم٢٢ : ٢٤) .

[١٢] العنـــاد

الإنسان المتواضع يمكن أن يتنازل عن رأيه ، ولا مانع من أن يعترف أنه قد أخطأ ، ويصحح الخطأ ...

الإنسان الوديع ، بالسهولة يتعامل مع كل أحد ، ولا يكون كثير الملاجحة ، أو عنيداً فى رأيه .

إنه يبحث الرأى الآخر فى توقير واحترام ، كشخص محايد وليس كخصم . وبكل نزاهة يفحص ما فيه من نفع . وإن رأى الرأى المخالف سليماً يقبله ...

هناك أناس تخاطبهم فتشعر أن عقولهم موصدة تماماً أمام كل تفاهم . لا يقبلون إلا الموافقة على رأيهم ، وفى عناد يصدون كل ما عداه بغير فهم ولا نقاش ...

وقد يستمر الإنسان فى عناده ، مهما كان عدد معارضيه فى الرأى ، ومهما كانت مراكزهم ، ومهما كان كلامهم مقنعاً ...

إنها صلابة ، قد تكون مبنية على كبرياء دفينة ، ترى التنازل عن الرأى ضد الكرامة وعزة النفس .

وقد يستمر الإنسان فى عناده زمناً طويلاً .

وقد يرى بنفسه النتائج السيئة التى جلبها إصراره على موقفه ، وتمسكه

بخطئه ، ولا يبالى فى عناد .

من أمثلة هؤلاء المعاندين ، الهراطقة الذين لم يسمعوا لاكنيسة كلها ، ولا للمجامع . وقسموا الكنيسة ولم يبالوا .

الإنسان المعاند ، يخسر الناس ، ويخسر نفسه ، وقد يخسر إيمانه أيضاً ، و بالتالى يخسر أبديته ...

وفى نفس الوقت يخسر نقاوة قلبه ... لا تواضع ، ولا حب ، ولا تفاهم ، ولا لطف ...

على أن هناك فرقاً كبيراً بين العناد ، والثبات على الحق . لأن العناد الذى نقصده هو الإصرار على الخطأ ...

والعجيب أن العنيدين قد يبررون عنادهم بأنه قوة شخصية ، وقد يتصورون أنهم أبطال فى مقاومتهم ...

وقد يعجب بهم بعض ضعاف الشخصية ، و بعض المنساقين . وإذ يرون كثيرين حولهم ، يزداد عنادهم أكثر فأكثر ، و يظنون أن الكثرة العددية تسندهم ، أو أنها دليل على صحة رأيهم ومسلكهم ...

والكتاب يربط بين العناد وقساوة القلب ...

فالخطاة المعاندون ، المصرون على خطئهم ، هم قساة القلب ، لم يلينوا أمام عمل النعمة ... و يقول لهم الرسول « إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم ... » (عب٣ : ٧) .



[١٣] الصليب فى حياتنا « أ »

بمناسبة عيد الصليب ، نذكر الكلمات الآتية :

* **أول علاقة لنا بالصليب ، هى فى المعمودية ،** حيث صُلب إنساننا العتيق حتى لا نستعبد بعد الخطية ...

* **والصليب قد حملته الكنيسة فى حركة الإستشهاد** وفى كل الإضطهادات التى لحقت بها على مر العصور...

والجميل فى هذا الصليب أن الكنيسة قد حملته بفرح وصبر ، دون أن تشكو منه أو تتذمر...

* تحول الصليب فى حياة الكنيسة إلى شهوة تشتهيها وتسعى إليه . وكان إقبال المسيحيين على الموت يُذهل الوثنيين ، وكانوا يرون فيه الإيمان بالأبدية السعيدة ، واحتقار الدنيا وكل ما فيها من ملاذ ومتع ...

* تحولت السجون إلى معابد ، وكانت ترن فيها الألحان والتسابيح والصلوات من مسيحيين فرحين بالموت ...

* **وثالث مجال نحمل فيه الصليب هو الباب الضيق ...**

فيه يضيق الإنسان على نفسه من أجل الرب . يبعد عن العالم وكل شهواته . ومن أجل الله يزدرى بكل شىء . فى سهر ، فى أصوام ، فى نسك ، فى ضبط النفس ، فى احتمال لإساءات الآخرين .

• ويمكن أن يدخل فى هذا المجال صليب التعب ...

فيتعب الإنسان فى الخدمة من أجل الرب. و يتعب فى (صلب الجسد مع الأهواء) كما يقول الرسول «و يتعب فى الجهاد وصلب الفكر، والإنتصار على النفس و يعلم فى كل ذلك أنه «ينال أجرته بحسب تعبه» حسبما قال بولس الرسول (١ كو٣: ٥).

• والمسيحية لا يمكن أن نفصلها إطلاقاً عن الصليب ...

والسيد المسيح صارحنا بهذا الأمر، فقال «فى العالم سيكون لكم ضيق» وقال أيضاً «تكونون مُبغَضين من الجميع لأجل إسمى» ...

• ونحن نفرح بالصليب، ونرحب به، ونرى فيه قوتنا كما قال الرسول «كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، أما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله».



[١٤] الجديـة

ربما تتصف بعض علاقاتنا بالناس بالجدية ، ولكن هل علاقتنا بالله لها نفس طابع الجدية ؟

هل وعودنا لله هى وعود جادة ؟ وهل قراراتنا الخاصة بحياتنا الروحية هى قرارات جادة ؟ أم نحن نعد ولا ننفذ ، نقرر ولا نفعل ، كما لو كنا غير ملتزمين بشىء ؟!

هل نذورنا لله هى نذور ثابتة تتصف بالجدية ؟ أم نحن نبرم مع الله إتفاقات هامة ، فى لحظات حرجة من حياتنا ، ثم يزول الحرج فنلغى كل اتفاقاتنا ، أو نحاول تغييرها ؟

وحينما نتقدم للتناول من السرائر المقدسة ، عازمين من كل قلوبنا على حياة مقدسة مع الله ، هل نحتفظ بهذا الشعور ، أم ننسى تعهدات قلوبنا ، ولا نسلك بجدية فى حياة التوبة ؟!...

هل لنا خط واضح معروف نسلك فيه بثبات ، أم نحن كريشة تتجاذبها الرياح ، بلا جدية ؟

هل هذه الجدية فى الحياة الروحية ، تلتزم بمبادىء معينة من النقاوة بلا انحراف ، ومن وسائط النعمة بلا كسل ، ومن الخدمة بلا تراخ ؟

القديسون الذين تابوا ، مثل موسى الأسود وأوغسطينوس ومريم القبطية ، كانت توبتهم تتصف بالجدية ، فلم يعودوا مطلقاً إلى حياتهم القديمة التي تركوها بلا رجعة ...

والذين أقاموا مع الرب صداقة وعشرة ، لم يخونوه في هذه الصداقة ، بل ظلوا مخلصين له في جدية ، يشعرون بالتزام قلبي وعملي من نحو محبته ...

الجادون في حياتهم الروحية ، لا تزحزحهم التجارب ولا الإغراءات ولا ينسون مطلقاً أنهم هياكل لله وأن روحه ساكن فيهم ، ولا ينسون أنهم أبناء لله ، وأنهم يجب أن يظلوا محتفظين بصورته ومثاله ...

الجادون في حياتهم الروحية ، تظهر الجدية في كل مظهر من مظاهر حياتهم : في كلامهم ، وفي تصرفاتهم ، وفي خدمتهم ، وفي عباداتهم ، وفي علاقاتهم بالآخرين ، وفي موقفهم الحازم من الأفكار ومن المشاعر المحاربة للقلب .

إنهم أصحاب مبادىء ، ولهم إلتزام تجاه مبادئهم .

ليتنا نعيش جميعاً بهذه الجدية ، فهي صفة من صفات أولاد الله . وهي دليل على الثبات ...



[١٥] الألفاظ الرقيقة

* الإنسان الروحى لا يستخدم ألفاظاً قاسية ، إنما ألفاظه رقيقة ، لأنه من ثمار الروح القدس (لطف) ، فهل أنت تتميز باللطف فى كلامك ومعاملاتك ؟ ...

*أنظر إلى السيد المسيح ، وهو يكلم المرأة السامرية ، وهى إمرأة خاطئة جداً ، يقول لها « حسناً قلت إنه ليس لك زوج ، لأنه كان لك خمسة أزواج والذى معك الآن ليس هو لك » ، عبارة (أزواج) عبارة رقيقة جداً ، لأنهم لم يكونوا أزواجاً ولكن الرب لم يستخدم العبارة الأخرى الشديدة . كما أن قوله « الذى معك ليس هو لك » هى أرق أسلوب ، لم يضمنه أى لفظ جارح ...

* بدلاً من أن تجرح الناس ، حاول أن تكسبهم ...

* إن بولس الرسول لما دخل أثينا واحتدت روحه ، إذ وجد المدينة مملوءة أصناماً ، قال لهم فى رقة « أيها الرجال الأثينيون ، إنى أرى على كل حال إنكم متدينون كثيراً ... » .

* والسيد الرب حينما تكلم عن أيوب ، إمتدحه بكلمات رقيقة أمام الشيطان بقوله إنه « ليس مثله ، رجل كامل ومستقيم ، يفعل الخير ويحيد عن الشر » ، بينما ليس أحد كامل إلا الله وحده ...

* بل ما أرق كلام الله فى حديثه عن نينوى ، المدينة الخاطئة ، الأممية ، التى لا يعرف أهلها يمينهم من شمالهم قال « أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة » ... أكانت نينوى عظيمة حقاً ، أم هى رقة الرب ؟ ...

* ومن رقة الله فى ألفاظه ، الأسماء التى أطلقها على الناس ، فقد سمى سمعان (بطرس) أى صخرة ، وسمى ابرآم (إبراهيم) أى أبو جمهور... كلها تحمل مديحاً ...

من أشهر القديسين الذين كانوا مشهورين بالكلمة الطيبة ، القديس ديديموس الضرير ، ناظر الإكليريكية فى القرن الرابع .

لم يكن هدفه أن يغلب الناس ، إنما أن يكسبهم . فلم يحاول أن يحطمهم ، بل كان يقنعهم .

* لقد أدان الرب الكلمات القاسية . فقال « من قال لأخيه (رقا) ، يكون مستوجب المجمع . ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم » .

إن الألفاظ القاسية ، لا يرضى عنها الله الوديع المحب ، الذى كان حلقه حلاوة ، وشفتاه تقطران شهداً .

❋ ❋ ❋

[١٦] الطمــوح

*** الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله ، والله غير محدود ، لذلك فالإنسان ـ مع أنه محدود ـ يحمل فى داخله اشتياقاً إلى اللا محدود .**

ومن هنا جاء اشتياقه إلى الخلود والحياة الأبدية . ومن هنا كان أيضاً اشتياقه للكمال ، و بسبب هذا وجدت مشاعر الطموح عند الناس ...

الإنسان الخامل ليس على صورة الله . أما الإنسان الذى له الصورة الإلهية ، فهو يقول كبولس الرسول :

« أنسى ما هو وراء ، وأمتد إلى قدام » ...

وهذا طموح روحى ، يسعى فيه الإنسان نحو الكمال الروحى . وأمام مثالياته الكاملة ، يرى كل ما وصل إليه مهما سما ، كأنه لا شيء ، فينساه ويمتد إلى قدام ...

ومن هنا نشأ تواضع القديسين ، وتعبهم فى الجهاد ...

ومن هنا نشأ أيضاً النمو فى حياة الروح ...

وهـذا الـطـمـوح كله ، مقبول ، ومطلوب ، وروحى ، و يعتبر لوناً من الفضيلة ، ولا يعترض عليه أحد .

على أن هناك طموحاً رديئاً فى الماديات ...

مثل طموح الغنى الغبى الذى قال «أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها وأقول لنفسى لك خيرات كثيرة لسنوات عديدة».

فما هى عيوب الطموح المادى ؟

١ ـ العيب الأول هو تعلق القلب الماديات، تعلقاً يتملك الشعور والوقت، و يقتل كل رغبة روحية أخرى.

٢ ـ والعيب الثانى، هو دخول الإنسان فى منافسات تفقده محبته للآخرين، وتغريه بأن يبنى مجده الخاص على أنقاض الناس وعلى الإصطدام بهم وهدمهم. مثل من يطمح أن يكون الأول أو الرئيس، فيعمل على التخلص من كل منافسيه...

٣ ـ والعيب الثالث: هو أن يتحول الطموح إلى نوع من الطمع أو الجشع الذى لا يكتفى مهما أخذ ومهما نال.

٤ ـ والعيب الرابع: أن تكون الوسيلة إلى الطموح وسيلة خاطئة أو غير روحية، يهدم فيها الإنسان بعض مثالياته وروحياته، لكى يصل إلى غرضه...

٥ ـ وقد يمتد الطموح إلى السلطة، فيتحول الإنسان إلى طاغية، يحطم كل من يقف فى طريق نفوذه...

٦ ـ وقد ينسى الإنسان أبديته فى كل هذه الألوان من الطموح، وتصير اتجاهاته دنيوية بحتة...

* * *

[١٧] لغتك تظهرك

كلامك يدل عليك ، يظهر شخصيتك ، يكشف ما فى داخلك « بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان » .

والكلام ليس بالشيء المين : بالإدانة يمكن أن تدان . وبكلمة « أحمق » تستحق نار جهنم . وبعض الكلام ينجس الإنسان كما قال الرب . ويعقوب الرسول يقول عن اللسان إنه « نار» وإنه « يضرم من جهنم » .

وأخطاء اللسان كثيرة ، جعلت القديسين يحبون الصمت :

منها التجديف ، والكذب ، والشتيمة ، والتهكم ، وكلام المزؤ، وكلام القسوة والغضب والمرارة والحقد ، وكلام الكبرياء والفخر، والمبالغة ، وكلام التملق والرياء والنفاق ، وشهادة الزور ومقاطعة الآخرين ، والمناقشات الغبية ، والثرثرة ... الخ

وهناك أخطاء قاصرة على صاحبها ، وأخرى معثرة للغير:

مثل ما يصبه الشخص فى آذان غيره ، من أحاديث تتلف نقاوة قلوبهم وافكارهم ، أو تتلف إيمانهم وسلامة معلوماتهم ، أو تتلف علاقاتهم بالآخرين وتوقع بينهم ، أو تجعلهم يغيرون فكرتهم عن أصدقائهم ... وكم من ضحايا للكلام !!

والكتاب ينصحنا بالبطؤ فى الكلام ، على الأقل لنفكر...

قال يقعوب الرسول « ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الإستماع ، مبطئاً فى التكلم ، مبطئاً فى الغضب ... » .

إن الذى يسرع فى كلامه ، أو يندفع فيه ، عرضة للخطأ . وقد يندم ، لكن بعد أن يتكلم ، و يسجل كلامه عليه ، ولا يستطيع أن يسترجعه ...

ومع كل هذا ، هناك كلام مفيد ، وكان السواح يأتون إلى آبائنا من أقاصى الأرض ، طالبين كلمة منفعة ...

هناك كلمات الروح ، وكلمات النعمة ، الكلمات التى يضعها الله فى أفواه الناس لكى يبلغوها لهم « لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم » الناطق فى الأنبياء ...

ولهذا يقول المرنم « إفتح يارب شفتىّ ، فينطق فمى بتسبيحك » ، فهل الله هو الذى يفتح شفتيك ؟ ...

ومن الكلام الطيب : كلمة البركة ، وكلمة التعزية ، وكلمة التشجيع ، وكلمة الحل ، وكلمة الإرشاد ، وكلمة التعليم ، بل أيضاً كلمة التوبيخ إذا قيلت بمحبة .

والكلمة التى من الله لا ترجع فارغة ، بل هى قوية وحية وفعالة ، تخترق القلب ، وتأتى بثمر ، وتغيّر النفوس .

تكلم إذن حين يحسن الكلام ، واعرف كيف تتكلم ومتى .

[١٨] الإنسان العملى

هناك أشخاص يعيشون فى الخيال ، يسبحون فى آمال من خيال ، و يبنون قصوراً من خيال ، و يعيشون فى أحلام اليقظة ، ولا يصلون إلى شىء ، لأنهم غير عمليين .

و يعكس ذلك أناس عمليون ، يعيشون فى الواقع ، و يتصرفون بما يناسب هذا الواقع ...

الذى يعيش فى آمال الخيال ليس عملياً . وماذا أيضاً :

والذى يبكى على الماضى ، دون أن يعمل للحاضر ليس هو عملياً ، إن البكاء لا يفيده شيئاً .

والذى ينظر إلى المشكلة فينهار، دون أن يفكر فى حلها ، ليس هو عملياً . إن الإنهيار لا ينقذه ...

والذى يتصرف لمجرد التصرف ، دون أن يفكر فى نتائج عمله ، وفيما تحدثه من ردود فعل ، ليس هو عملياً .

والذى يعامل الناس بعقليته هو، دون أن يضع فى اعتباره عقليتهم ، ونوع فهمهم ، ليس هو عملياً .

وكذلك من يصدق كل من يمدحه ، و يصادق كل من يبتسم فى

وجهه ، ويظن أنه مادام قد اقتنع بأمر، فلابد أن هذا الأمر صحيح ، والكل يقتنعون به ! ليس هو عملياً ...

والذى يظن أن من حقه أن ينتصر وأن يطاع ، لمجرد أنه فلان ... ليس هو عملياً .

الإنسان العملى ، يعيش فى الواقع ، بكل ما فى هذا الواقع من ظروف ، وبكل ما فيه من معقوقات ومن مشاكل ، لا يتجاهل منها شيئاً ...

والإنسان العملى ، يعامل الناس كما هم ، وليس كما ينبغى أن يكونوا . لا يفترض مثاليات خيالية للناس الذين يتعامل معهم ، إنما يعرف أنهم بشر، كسائر البشر، بكل ما فى البشرية من ضعفات ونقائص .

الإنسان العملى لا يعالج مشاكله بالبكاء ولا بالندب ، ولا بالضجيج ولا بشكوى من هذا الزمان ومن يعيش فيه . إنما يقابل مشاكله بالفكر الرصين والحكمة والحلول العملية ، ويطلب من الرب أن يبارك عمله وينجحه ...

الإنسان العملى لا يعيش بكلمة (لو) ...

ولا يفكر طول عمره فى الماضى ، وإنما يأخذ من الماضى دروساً ، ويعمل للحاضر وللمستقبل ، بكل جهده ...

[١٩] التلمــذة

التلمذة تبدأ فى حياة الإنسان، ولكنها لا تنتهى...

وهذه التلمذة تأخذ فى حياة الإنسان ألواناً متعددة، تتنوع بحسب مراحل العمر التى يجتازها...

فمرحلة الطفولة تمثل التلمذة التى تصدق كل شىء...

التلمذة التى تطلب التعليم، وتسأل، وتريد أن تعرف وتقبل كل شىء بلا جدل، وتلتقط بالإقتداء أشياء كثيرة.

وفى المرحلة الإبتدائية والإعدادية مرحلة أخرى من التلمذة التى تفهم وتستوعب. وفى المرحلة الثانوية التلمذة التى تناقش وتجادل، وتختزن المعلومات بعد فحصها...

أما فى المرحلة الجامعية، فنوع آخر من التلمذة التى تشترك فى البحث وتحضير المعلومات، وتعتمد بعض الشىء على نفسها.

وبعد المرحلة الجامعية، تبدأ مرحلة أخرى من التلمذة على الحياة، حينما يدخل الشخص فى خضم الحياة العملية.

مرحلة لا تحدد فيها المناهج، ولا تحدد مواعيد للإمتحان، إنما يمتحن الإنسان عملياً، فى أى وقت، فى أى شىء، بلا سابق تحضير ولا استعداد...

وأنتم تحتاجون أن تستعدوا لاختبارات الحياة...

ويمكنكم التلمذة على خبرات غيركم ، وكذلك التلمذة على الكبار، على المرشدين والآباء الروحيين . وكذلك يمكنكم التلمذة على الكتب...

يحتاج الإنسان أن ينهل من كل منابع المعرفة ، بشيء من الحكمة والحرص ، والفحص ، وغربلة المعلومات .

تحتاجون أن تتعلموا الحياة ، وتعرفوا كيفية التصرف ، وكيفية التعامل مع الناس ومع الرؤساء ، وكيفية الكلام :

متى يتكلم الشخص ، وكيف يتكلم ، ومتى يكون حازماً ، ومتى يتساهل ، ومتى يدقق ، ومتى يعاقب ، ومتى يسامح ...

بل إن محب التلمذة ، يتتلمذ على كل شيء ...

يتعلم النشاط من النملة ، و يتعلم الإيمان من العصافير التى لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن ، وأبوكم السماوى يقوتها ...

سعيد من يعيش تلميذاً طول عمره ...

يتعلم أكثر مما يعلّم غيره . و يزداد فى كل يوم علماً ومعرفة . و يكون له التواضع الذى يقبل به التعليم من كل أحد ومن كل شيء ...

* * *

[٢٠] فرح حقيق وفرح زائف

الفرح الحقيق هو ثمرة من ثمار الروح القدس فى القلب ، إذ يقول الكتاب : أما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام (غل٥ : ٢٢) .

وهو فرح فى الرب كما قال الرسول .

على أنه توجد أمثلة كثيرة للفرح الزائف :

مثل فرح يونان النبي باليقطينة التى ظللت على رأسه ، ومثل فرح سليمان بكل تعبه الذى تعبه تحت الشمس ، بينما وجد أخيراً أنه باطل وقبض الريح ، ومثل قوله فى ذلك «قلب الجهال فى بيت الفرح» .

ومن أمثلة الفرح الزائف قول الإبن الأكبر لأبيه «قط لم تعطنى جدياً لأفرح مع أصدقائى» .

على أن هناك فرحاً آخر ، هو خطيئة :

من أمثلته قول الحكيم «لا تفرح بسقوط عدوك» (أم٢٤ : ١٧) . وعنه قال الرسول أيضاً فى حديثه عن المحبة بأنها «لا تفرح بالإثم» . (١كو١٣) .

وقد و بخ السيد المسيح تلاميذه لما فرحوا بخضوع الشياطين لهم ، وقال لهم «لا تفرحوا بهذا ... بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى ملكوت الله» ...

الفرح الحقيق إذن هو الفرح المقدس بالرب ...
وفرح الحياة الروحية وبكل الوسائط الروحية أيضاً ...

يقول المرتل « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » ، و يقول أيضاً « فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة ، و يقول « باسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم » ... وهكذا يرى فرحه فى كل ما يقرب إلى الرب .

والإنسان أيضاً يفرح بالتوبة لأنها صلح مع الله ...

وفى هذا الفرح بالخلاص ، تشترك السماء أيضاً لأن « السماء تفرح بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين لا يحتاجون إلى توبة » ...

الرجاء أيضاً مصدر للفرح (فرحين فى الرجاء) رو١٢

بل إن التجارب نفسها تفرح المؤمن « إحسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة » (يع ١)

وأعظم فرح هو بلقاء الرب فى الملكوت .

حينما يقول للمؤمن · « أدخل إلى فرح سيدك » .

❊ ❊ ❊

[٢١] بعض تداريب للصمت

من الصعب لمن يحيا فى وسط المجتمع أن يصمت صمتاً مطلقاً ولكنه يتدرب على الصمت بما يأتى :

١ ـ الإجابات المختصرة القصيرة :

فما تكفى كلمة أو جملة للإجابة عنه ، لا داعى للتطويل فيه والإسهاب وكثرة الشرح . تكفى الجملة الواحدة .

٢ ـ عدم الكلام فى كل موضوع :

هناك موضوعات ليست من اختصاصاتك ، فلا داعى للكلام فيها ، وبخاصة ما يتعلق بأسرار غيرك .

كذلك لا داعى للكلام فى أمور ليست من تخصصك ، كبعض أمور علمية عميقة ، وبعض أمور فنية وسياسية تفوق معرفتك .

٣ ـ البعد عن أخطاء اللسان :

مثل الإدانة ، والتهكم ، وكلام العبث ، والثرثرة ، والجدل غير النافع ، وكلام الغضب والإهانة ... الخ

٤ ـ عدم البدء بالكلام إلا لضرورة :

إذا كلمك أحد ، جاوب باختصار . وإن لم يكلمك ، أصمت ، إلا إذا كان هناك أمر يلزمك بالكلام ، بحيث إذا ظللت صامتاً تقع فى خطأ معين ...

[٢٢] درجات فى الإيمان

قد يوجد إنسان « ضعيف فى الإيمان » (رو ١٤ : ١) .

أو « قليل الإيمان » (مت ١٤ : ٣١) .

وآخر يحتاج أن يكمل « نقص إيمانه » (١ تس ٣ : ١٣) . وثالث « بطىء القلب فى الإيمان » مثل تلميذى عمواس (لو ١٤ : ٢٥) .

وعلى عكس هذا ، توجد درجات فى الإيمان ...

إنسان مؤمن ،

وآخر « غير حديث فى الإيمان » (١ تى ٣ : ٦) ،

وثالث « إيمانه ينمو » (٢ تس ١ : ٣) ، أو أنه « يزداد فى الإيمان » (٢ كو ٨ : ٧) ،

ورابع « ثبت على الإيمان » (كو ١ : ٢٣) ،

وخامس « راسخ فى الإيمان » (ابط ٥ : ٩) ،

وسادس من « الأغنياء فى الإيمان » (يع ٢ : ٥) ،

وأعلى من كل هذا سابع « مملوء من الإيمان » (أع ٦ : ٥) ،

وقال الرب عن البعض « عظيم هو إيمانك » (مت ١٥ : ٣٨) .

و يوجد إيمان قوى « تتبعه الآيات » (مر ١٦ : ١٧) ، وإيمان « ينقل الجبال » (١ كو ١٣ : ٢) ، وإيمان أكثر من هؤلاء يستطيع كل

شيء مستطاع للمؤمن » (مر٩ : ٢٢) .

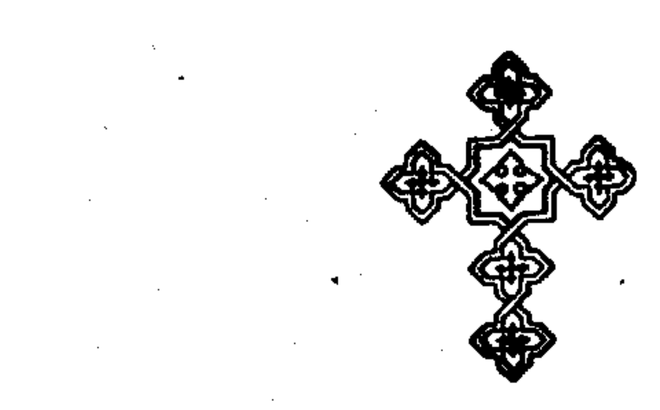
وأمام كل هذا ، ما هو وضعك الإيمانى ؟

هل أنت مؤمن حقاً ؟ هل لك « الإيمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) ؟ وهل تنمو فى الإيمان ؟ أم قوى وعظيم هو إيمانك ؟ أم أنت تحتاج إلى صلوات « لكى لا يفنى إيمانك » (لو٢٢ : ٣٢) .

أيها الإخوة « إختبروا أنفسكم : هل أنتم فى الإيمان ؟ إمتحنوا أنفسكم ؟ » (٢ كو ١٣ : ٥) .

إن كلمة الإيمان تحمل ولا شك معانى عميقة ...





[٢٣] الصـــــلاة

الصلاة هى فتح القلب لله ، لكى يتحدث معه المؤمن حديثاً ممزوجاً بالحب ، و بالصراحة . هى عرض النفس أمام الله .

الصلاة هى صلة ، صلة بين الإنسان والله . فهى إذن ليست مجرد حديث ، إنما قلب يتصل بقلب .

الصلاة هى شعور بالوجود فى حضرة الله . هى شركة مع الروح القدس ، والتصاق بالله ...

الصلاة هى طعام الملائكة ، والروحيين ، بها يتغذون ، و يذوقون الرب « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (مز٣٤ : ٨) .

الصلاة هى ارتواء نفس عطشانة إلى الله « اشتاقت نفسى إليك ، كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه » (مز٤٢ : ١) ، « باسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم » (مز٦٣ : ٥) .

الصلاة هى تسليم الحياة لله ، ليديرها بنفسه « لتكن مشيئتك » .

الصلاة هى اعتراف بعدم كفاية جهدنا ، وعدم كفاية ذكائنا ، ولذلك نلتجىء إلى قوة أعلى منا ، ونجد فيها رعايتنا ...

الصلاة هى إلغاء لاستقلالنا عن الله ...

هى التقاء مع الله : نصعد إليه ، أو ينزل إلينا ...

هى تحويل النفس إلى سماء ، وإلى عرش الله ...

ليست الصلاة فرضاً ، ولا أمراً ، ولا مجرد وصية ، ولا مجرد تقوى وعبادة ... إنها رغبة وشوق ... وإلا كانت ثقيلة ، نمارسها بتغصب ، من أجل الطاعة !!

الصلاة ليست مجرد طلب . فقد يصلى الإنسان ولا يطلب شيئاً ... إنما يتأمل جمال الله ، وصفاته المحببة إلى النفس ... هكذا صلاة التسبيح والتمجيد ... أسمى من الطلب ...

لا يستطيع أن يتمتع بالصلاة كما ينبغى ، من له طلب آخر غير الله وحده .

الصلاة هى موت كامل عن العالم ، ونسيان كلى للذات ، حيث لا يكون فى الفكر سوى الله وحده ...

الصلاة هى السلم الواصل بين السماء والأرض . هى جسر نعبر به إلى السماويات ، حيث لا عالم هناك ...

إنها مفتاح السماء ...

إنها مجموعة من مشاعر ، تتجسد فى كلمات ...

وقد توجد صلاة بلا كلام ، بلا ألفاظ ...

خفقة القلب صلاة ... ودمعة العين صلاة ... وإحساس النفس بوجود الله صلاة ...

فى ظل كل هذه المعانى ، أتراك حقاً تصلى ؟ ...

٢٤] كلمة « أخطأت » بين الحقيقة والزيف

كثيراً ما تقال كلمة (أخطأت) من قلب منسحق صادق، فتدل على التوبة، وتنال المغفرة من الله...

• مثال ذلك الإبن الضال، حينما قال لأبيه « أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقاً أن أدعى لك إبناً » (لو١٥ : ١٨) فنال المغفرة، وذبح له العجل المسمن.

• ومن أمثلة ذلك أيضاً، قول داود في المزمور الخمسين « لك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت » . ونحن نكرر هذه العبارة في كل صلاة من صلوات اليوم السبع.

على أن هناك مناسبات أخرى، قيلت فيها عبارة أخطأت، ولم تدل على توبة، ولم يقبلها الله !...

•لقد كرر فرعون هذه العبارة بلون السياسة، أكثر من مرة، خوفاً، لكي يرفع الرب عنه العقوبة. وما أن ترتفع الضربة عنه، حتى يرجع إلى قسوة قلبه كما كان !!

في ضربة البرد، دعا فرعون موسى وهارون، وقال لهما « أخطأت هذه المرة. الرب هو البار، وأنا وشعبي الأشرار. صليا إلى الرب، وكفى حدوث رعود الله والبرد، فأطلقكم » (خر٩ : ٣٧)، ولما رُفعت الضربة، رجع إلى قساوته.

وفى ضربة الجراد، قال لهما «أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما. والآن اصفحا عن خطيتى هذه المرة فقط. وصليا إلى الرب إلهكما ليرفع عنى هذا الموت...» (خر١٠: ١٦).

كثيرون كفرعون يقولون (أخطأت)، ويرجعون كرجوعه.

* بلعام، الذى تحدث الكتاب عن ضلالته، قال لملاك الرب: «أخطأت» (عد٢٢: ٣٤). وعاد وخالف...

* وشاول الملك قال لصموئيل (أخطأت)، وكررها مرتين، لا عن توبة، وإنما لكى يكرمه النبى أمام الشعب (١صم١٥: ٢٤، ٣٠)... وهلك شاول، ورفضه الرب.

*** وعخان بن كرمى قال ليشوع «أخطأت إلى الرب...» (يش٧: ٢٠) وهلك عخان، مثلما هلك بلعام من قبل، ومثلما هلك شاول الملك من بعد، على الرغم من عبارة (أخطأت).**

* شمعى بن جيرا أيضاً قال لداود الملك عبارة «أخطأت» (٢صم١٩: ٢٠) ولعله قالها بنوع من الخوف أو من التملق، ولم تقبل منه، وهلك شمعى بن جيرا.

*** وماذا أقول؟ إن يهوذا الخائن نفسه قال (أخطأت).**

قالها فى يأس لرؤساء الكهنة والشيوخ، بعد فوات الفرصة «أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً» (مت٢٧: ٤). ثم مضى وخنق نفسه، وهلك يهوذا بعد قوله (أخطأت).

[٢٥] صلاة فى بدء العام الجديد

إجعله يارب عاماً مباركاً ...
عاماً نقياً نرضيك فيه ...
عاماً تحل فيه بروحك ...
وتشترك فى العمل معنا ...
تمسك بأيدينا ، وتقود أفكارنا من أول العام إلى آخره ...
حتى يكون هذا العام لك وتستريح فيه ...

إنه عام جديد ، نقى ، لا تسمح أن نلوثه بشىء من الخطايا أو من النجاسات ...

كل عمل نعمله فى هذا العام ، اشترك يارب فيه ...
بل لنصمت نحن ، وتعمل أنت كل شىء ...
حتى نُسر بكل ما تعمله ونقول مع يوحنا البشير :
« كل شىء به كان ، و بغيره لم يكن شىء مما كان » ...
وليكن هذا العام يارب عاماً سعيداً ...
إطبع فيه بسمة على كل وجه ، وفرِّح كل قلب ...
وادخل بنعمتك فى التجارب ، واعط المجربين معونة ...
وانعم على الكل بالسلام والراحة ...

إعط رزقاً للمعوزين ، وشفاء للمرضى ، وعزاء للحزانى ...

لسنا نسأل يارب من أجل أنفسنا فقط ...

إنما نسأل من أجل الكل ، لأنهم لك ...

خلقتهم ليتمتعوا بك ، فأسعدهم إذن بك ...

نسألك من أجل الكنيسة ومن أجل كرازتك ، ومن أجل كلمتك ، لتصل إلى كل قلب ...

ونسألك من أجل بلادنا ، ومن أجل سلام العالم ، لكيما يأتى ملكوتك فى كل موضع .

إجعله يارب عاماً مثمراً ، كله خير ...

كل يوم فيه له عمله ، ولكل ساعة عملها ...

ولا تسمح أن توجد فيه لحظة واحدة عقيمة ...

إنما إملأ حياتنا فيه نشاطاً وعملاً وإنتاجاً ...

اعطنا بركة التعب المنتج ، المقدس ...

واعطنا شركة الروح القدس فى كل أعمالنا ...

نشكرك يارب لأنك أحييتنا حتى هذه اللحظة ، وأهديتنا هذا العام ، لكيما نباركك فيه ...



[٢٦] الإعتراف والتوبة

سر الإعتراف فى الكنيسة، هو سر التوبة. ومن غير توبة، لا يكون الإعتراف إعترافاً...

والتوبة هى إقتناع قلبى كامل، بأنك قد أخطأت.

التوبة هى أن تدين نفسك وتحكم عليها...

وما الإعتراف سوى إعلان لإدانتك لنفسك...

ليس الأمر إذن مجرد كلمة (أخطأت)، أو سرد الخطايا، إنما الإعتراف الحقيق يبدأ داخل القلب، بثورة من الإنسان ضد نفسه، واحتقار ذاتى لمسلكه.

والذى يدين نفسه يقبل أية عقوبة تحل عليه، من الله أو من الناس، و يشعر أنه يستحقها.

أما التذمر على العقوبة، فهو دليل على عدم التوبة...

والتوبة تشمل أيضاً معالجة نتائج الخطية بقدر الإمكان... مع رد الظلم الذى يكون قد وقع على الآخرين...

لذلك قال زكا العشار فى توبته «وإن كنت قد وشيت بأحد، أرد له خمسة أضعاف»، فعلى الأقل بالنسبة إليك ترد نفس الشيء والتوبة بدون رد لا تكفى...

والتوبة تحتاج إلى اتضاع قلب . والذى يصر على الإحتفاظ بكبرياته وكرامته ، لا يستطيع أن يتوب .

والذى يدافع باستمرار عن نفسه ، و يبرر تصرفاته وأقواله ، هو إنسان غير تائب ، تمنعه الكبرياء من التوبة .

والأب الكاهن ، من المفروض أن يقول للمعترف (الله يحاللك) حينما يرى أنه تائب . لأن التحليل لا يجوز أن يقال لغير التائبين .

وإن سمع الشخص عبارة (الله يحاللك) ، فإنما المقصود بها الخطايا التى تاب عنها هذا الشخص ...

إن المعترف الموقن تماماً بأنه خاطىء ، وضميره يبكته بشدة على خطيته ، هذا يمكنه أن يغيِّر مسلكه و يتوب . أما الذى يبرر نفسه ، فما أسهل أن يستمر فى خطاياه ، لأنه لا يشعر بثقلها ، ولا تتعبه من الداخل .

كيف يتوب إنسان عن شىء ، هو غير مقتنع بأنه خطأ !! الخطوة الأولى إذن أن يقتنع الإنسان بخطيئته .

إذن فالإعتراف هو خطوة تالية ، وليس نقطة البدء . وشتان بين اعتراف حقيق ، وآخر عن غير اقتناع .

* * *

[٢٧] قوة الشخصية

ليست قوة الشخصية مظهرية خارجية ، إنما هى تنبع من أعماق الإنسان : من قلبه وعقله وإرادته .

قد يعتبر الإنسان قوياً بسبب قوة عقله ، ذكائه ، وقدرته على الفهم والإستنتاج والإدراك والإلمام بالمعلومات ، مع قوة الذاكرة وجمعها للمعلومات وترتيبها .

ولا شك أن الإنسان الذكى ، هو إنسان قوى ...

هو أقوى من الشخص الكثير المعلومات ، ومن الواسع الإطلاع . فإذا جمع هذه الصفات أيضاً تزداد قوى شخصيته .

كذلك من مصادر قوة الشخصية : قوة الإرادة والعزيمة .

ولذلك قيل إن من يغلب نفسه ، خير ممن يغلب مدينة . والشخص الذكى إن لم يكن قوى الإرادة ، قد يفشل فى الحياة ، لأنه يعرف ولا يقدر .

ولهذا كان من أسباب ضعف الشخصية : التردد والشك ، وعدم القدرة على ضبط النفس ، وكذلك ضعف العزيمة ، وعدم القدرة على البت فى الأمور وإصدار القرار .

والصوم والتداريب الروحية يسلك فيها الإنسان فتقوى إرادته ، فتقوى شخصيته .

والشخص الروحى شخص قوى، لأنه منتصر من الداخل.

إنه قوى لأنه انتصر على الخطية وعلى الشيطان. إنتصر على الجسد وعلى المادة وعلى العالم. دخل فى الحروب الروحية، ولم تقدر عليه كل أسلحة إبليس الملتهبة ...

ومن مصادر القوة أيضاً الحكمة وحسن التقدير.

ولهذا فإن المتصفين بالحكمة يصلحون للقيادة، وللإرشاد، ويستطيعون جذب الآخرين إليهم بحسب تدبيرهم.

ومن صفات قوة الشخصية أيضاً الشجاعة ...

لذلك يعتبر قوى الشخصية الجرىء الشجاع، الذى لا يخاف، ولا يضطرب أمام القوى المضادة، ويمكنه أن يبدى رأيه، ويعبّر عن إيمانه، ويدافع عن عقيدته.

وشتان بين الشجاعة والتهور، فالتهور يخلو من الحكمة ...

لهذا تعتبر الشخصية قوية إن توافرت لها شروط كثيرة من مظاهر القوة الحقيقية يسند بعضها بعضاً.

نقول هذا لكى نفرق ما بين القوة الحقيقية، ومظاهر القوة الزائفة، التى تعتمد على السلطة، أو القوة الجسدية، أو العنف، أو الكبرياء، أو البطش بالآخرين.

❊ ❊ ❊

[٢٨] المسيحية ديانة قوة

إن ما تدعو إليه المسيحية من وداعة وتواضع، لا يعنى مطلقاً أنها ديانة ضعف، بل هى ديانة قوة.

فالكتاب يصف المؤمنين بأنهم « كسهام بيد جبار» (مز ١٢٠: ٤)، و يقول عن الكنيسة إنها « جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألوية [أى من عدة لواءات] » (نش ٦: ١٠).

هذه القوة هى من عمل الروح القدس فى المؤمنين.

لهذا قال لهم الرب « ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم. وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١: ٨).

ولهذا يقول الكتاب « و بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » (أع ٤: ٢٣)... كان « ملكوت الله قد أتى بقوة »...

إن قمة القوة فى المسيحية تبدو فى قول الرسول:

« أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى »

و يقول أيضاً عن القوة فى الخدمة « أتعب أيضا مجاهداً، بحسب عمله الذى يعمل فىَّ بقوة » (كو ١: ٢٩).

إنها قوة على الرغم من المقاومات ، فيقول الرب لبولس «لا تخف . بل تكلم ولا تسكت . لانى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك» (أع١٨ : ٩، ١٠) .

بل هى قوة على جميع الشياطين بسلطان .

فعندما أرسل السيد المسيح تلاميذه «أعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين» (لو٩، ١) . ونحن نشكره فى صلواتنا لأنه «أعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو» ...

المسيحيون أقوياء ، لأنهم صورة الله ، والله قوى ...

والسيد المسيح على الرغم من وداعته واتضاعه كان قوياً . قيل عنه «تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . إستله وانجح واملك» . كان قوياً «وكانت قوة تخرج منه» (لو٦ : ١٩) .

الله لبس القوة وتمنطق بها» ، «صنع قوة بذراعه» . أظهر قوته بآيات وعجائب «يمين الرب صنعت قوة» ...

والقوة فى المسيحية قوة لها طابع روحى ...

قوة فى الإنتصار على الخطية والعالم والشيطان ، قوة فى الإحتمال ، قوة فى العمل وفى الخدمة ، قوة فى الشخصية وتأثيرها وقيادتها للآخرين ، قوة فى الدفاع عن الإيمان .

قوة بعيدة عن أخطاء العنف والإعتداء وقهر الآخرين .

[٢٩] السلوك المسيحى

يظن البعض أن الحياة مع الرب هى مجرد إيمان ، أو حب أو روح ، ولا تهم الفضائل أو السلوك ...

بينما يهتم الكتاب بالسلوك المسيحى ، من جهة الدينونة ذاتها فيقول : « إذن لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » إذن سلوك الإنسان بالروح هو الذى يحميه من الدينونة .

و يعتبر هذا السلوك الروحى دليلاً على الثبات فى الرب . و يطلب الرسول مستوى عالياً جداً فيقول :

« من قال أنه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك (أى المسيح) هكذا يسلك هو أيضاً » (١ يو٢ : ٦) .

نحن إذن مطالبون بالسلوك حسب الروح ، و بأن نضع أمامنا فى سلوكنا مثال سلوك السيد المسيح أيضاً ...

وأهمية السلوك المسيحى ، قول الرب « من ثمارهم تعرفونهم » .

هذا السلوك له ناحيتنان : إيجابية ، وسلبية . وكل منهما لها خطورتها . ولهذا يقول يوحنا الرسول « إن سلكنا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية »

(١يو١ : ٧). هذا من الناحية الإيجابية .

وماذا عن السلبية ؟ يقول الرسول « إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١يو١ : ٦).

إذن سلوكنا المسيحى ، هودليل شركتنا مع الله . وهو أيضاً دليل على شركتنا مع الكنيسة ...

ولهذا كانت الكنيسة تفرز كل أخ يسلك بلا ترتيب ، كما ذكَّر بولس الرسول أهل كورنثوس بالآية التى تقول « إعزلوا الخبيث من وسطكم » .

و يقول القديس يوحنا :

« أوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب ، وليس حسب التعليم الذى أخذه منا »
(٢تس٣ : ٦) .

إن كان السلوك أمراً ليست له أهمية ، والمهم فقط هو الإيمان ، فلماذا إذن جعله الرسول قمة فرحه فقال :

« ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق » (٣يو٤) .

إننا مؤمنون ، ولكن ينبغى أن نسلك كما يليق بالدعوة التى دعينا إليها (أف٤ : ١) . نصنع ثمراً ، لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً تقطع وتلقى فى النار...

* * *

[٣٠] أذكر يارب اجتماعاتنا باركها

ليست اجتماعاتنا هى التى نجتمع فيها مع بعضنا البعض ، إنما التى نجتمع فيها مع الله ، أو حينما نجتمع مع بعضنا البعض ، يكون الله فى وسطنا حسب وعده الصادق :

« حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى وسطهم » (مت١٨ : ٢٠) .

إجتمع الله مع آدم وحواء فى الجنة ، فكانت أول كنيسة .. واجتمع مع نوح وأسرته فى الفلك ، وكان فى وسطهم . وكذلك كان فى وسط الثلاثة فتية فى أتون النار . واجتمع الرب مع موسى فوق الجبل ، وكان اجتماعاً مباركاً ، أضاء فيه وجه موسى بالنور لأنه اقترب من النور الحقيق .

وفى العهد الجديد ، كان الرب يجتمع مع تلاميذه ، فى أى مكان : على الجبل ، فى بيت حيث شفى المفلوج ، أو فى البرية حيث بارك الخمس خبزات ، أو بين الحقول ، أو فى جلسة خاصة على بئر يعقوب ، أو فى بيت مريم ومرثا .

ومن أجمل الصور التى قدمها لنا سفر الرؤيا :

الرب فى وسط المنائر السبع ، فى وسط كنيسته .

إنها صورة الله فى وسط شعبه ، وفى يده اليمنى ملائكة الكنائس .

سبقها الرب باجتماعه مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة « يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله » . ودعاهم إلى ذلك الإجتماع بقوله للمجدلية : إذهبى إلى إخوتى ، وقولى لهم أن يمضوا إلى الجليل هناك يروننى » ...

إن مجرد رؤيته ، يمكن أن تكون هدفاً فى ذاتها :

إذ قال لهم قبلاً « أراكم فتفرح قلوبكم . ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم » .

ونحن نجتمع مع الله فى بيته ، لذلك نفرح بالذهاب إلى بيت الرب ، كما فرح المرتل قائلاً :

« فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » (مز ١٢١) .

وكان الله يجتمع مع الناس فى البيوت :

وكان أول البيوت التى صارت كنائس ، بيت مارمرقس (أع ١٢ : ١٢) ، وفى عليته حل الروح القدس ، وتعلم قديسنا مارمرقس مثالية الإجتماعيات ، وعلمنا إياها .

* * *

[٣١] الصوم الروحى

الصوم الكبير من أقدم وأقدس أصوام السنة ، نتذكر فيه الصو الأربعينى الذى صامه الرب ، و يضاف إليه أسبوع الآلام الذى هو ذخير السنة الواحدة .

وبما أن يمر علينا كفترة روحية . ولذلك علينا أن نتأمل معاً روحيات الصوم لنتدرب عليها .

ليس الصوم مجرد إمتناع عن الطعام ، فهذا الإمتناع هو مجرد وسيلة للسيطرة على الجسد لإعلاء الروح .

فهل أنت فى الصوم تسيطر على جسدك تماماً ؟ وهل تهتم بالإيجابيات التى تنميك روحياً ؟

وكما تمنع جسدك عن الطعام ، هل تعطى روحك طعامها ؟...

ومن هنا كان الصوم يقترن دواماً بالصلاة ، و بالتأمل و بباق تفاصيل العمل الروحى ، من قراءة وترتيل واجتماعات روحية ، وتداريب روحية ومحاسبة للنفس .

وكما يقترن الصوم بالصلاة ، يقترن أيضاً بالتوبة .

ومثال ذلك نينوى ، بكل ما فيها من تذلل . ومثاله أيضاً الصوم الذى شرحه سفر يوئيل النبى (٢ : ١٢-١٧) والله يُسر فى الصوم بترك الخطية ،

كثر مما يُسر بإذلال الجسد . وهكذا نقرأ عن صوم أهل نينوى إنه « لما رأى
لله أعمالهم ، أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذى
كلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يون٣ : ١٠) .

**والصوم أيضاً مقرون بعمل الرحمة . نرحم الناس لكى يرحمنا
لله . ونشعر بألم الناس حينما نجوع ، فنشفق على الجائعين ونطعمهم ...**

وما أجمل ما قيل فى أقوال الآباء « إن لم يكن لك ما تعطيه لهؤلاء
لقديسين فصُم وقدم لهم طعامك » . وقد شُرح هذا الأمر فى سفر أشعياء
٥٨) .

والصوم فترة للزهد فى المادة وكل ما يتعلق بها .

والزهد معناه عدم الإهتمام بالطعام وأصنافه وطهيه وتنسيقه ، مما
ج الصوم عن روحه ، ويتحول إلى شكليات ... ما أجمل قول دانيال
ى فى صومه « لم آكل طعاماً شهياً » (دا١٠ : ٣) .

وهذا الزهد فى الطعام ، من جهة الإنقطاع عنه ، والإمتناع عن
شتهياته ، إن هو إلا دلالة على الزهد عموماً والتدرب عليه ، لإنشغال
لقلب بكل ما هو روحانى ونافع للحياة الأبدية ...

❊ ❊ ❊

[٣٢] تدريبات فى الصوم الكبير

لكى يكون هذا الصوم المقدس ذا أثر فعّال فى حياتك الروحية ، نضع أمامك بعض التداريب لممارستها ، حتى إذا ما حولتها إلى حياة ، تكون قد انتفعت فى صومك :

١ - تدريب لترك خطية معينة من الخطايا التى تسيطر عليك ، والتى تتكرر فى كثير من اعترافاتك .

٢ - التدريب على حفظ بعض المزامير من صلوات الأجبية ، ويمكن إختيار مزمور أو اثنين من كل صلاة من الصلوات السبع ، وبخاصة من المزامير التى تترك فى نفسك أثراً .

٣ - التدريب على حفظ أناجيل الساعات ، وقطعها ، وتحاليلها . علماً بأنه لكل صلاة ٣ أو ٦ قطع .

٤ - التدريب على الصلاة السرية بكل ما تحفظه ، سواء الصلاة أثناء العمل ، أو فى الطريق ، أو أثناء الوجود مع الناس ، أو فى أى وقت .

٥ - إتخاذ هذه الصلوات والمزامير والأناجيل مجالاً للتأمل حتى يمكنك أن تصليها بفهم وعمق .

٦ - تداريب القراءات الروحية : سواء قراءة الكتاب المقدس بطريقة منتظمة ، بكميات أوفر ، وبفهم وتأمل ... أو قراءة سير القديسين ،

أو بعض الكتب الروحية ، بحيث تخرج من الصوم بحصيلة نافعة من القراءة العميقة .

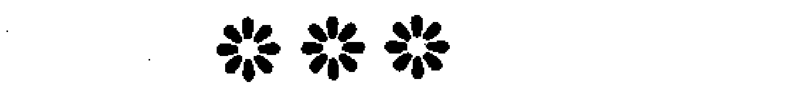
٧ - يمكن في فترة الصوم الكبير ، أن تدرب نفسك على استلام الألحان الخاصة بالصوم أو بأسبوع الآلام ، مع حفظها ، وتكرارها ، والتشبع بروحها ...

٨ - يمكن أن تدرب نفسك على درجة معينة من الصوم ، على أن يكون ذلك تحت إشراف أبيك الروحي .

٩ - هناك تدريبات روحية كثيرة في مجال المعاملات ... مثل اللطف ، وطول الأناة ، واحتمال ضعفات الآخرين ، وعدم الغضب ، واستخدام كلمات المديح والتشجيع ، وخدمة الآخرين ومساعدتهم ، والطيبة والوداعة في معاملة الناس .

١٠ - تدريبات أخرى في (نقاوة القلب) :

مثل التواضع ، والسلام الداخلي ، ومحبة الله ، والرضى وعدم التذمر ، والهدوء وعدم القلق ، والفرح الداخلي بالروح ، والإيمان ، والرجاء ...



[٣٣] متاعب الذكاء

للذكاء فوائد كثيرة فى حياة الإنسان وحياة غيره .
ولكن الذكاء يسبب أيضاً بعض المتاعب ، فكيف يحدث ذلك ؟
إذا طالب الشخص الذكى أو الذكى جداً ، أن يتعامل معه الناس بنفس مستوى الذكاء ، وقد يكونون دون ذلك ، حينئذ سيصطدم بهم ، يتعبهم ويتعبونه...
لأنه سيطالبهم حينئذ بأكثر مما يستطيعون .
سيحزن فى قلبه ، لأنهم تصرفوا بهذا الأسلوب .
وهذا أول عيب ، هو تضايق الذكى من تصرف الناس :
كيف أنهم لم يفهموا ! وكيف تصرفوا هكذا ؟!
ولماذا يتسببون فى هذه الأضرار؟ ألا يدركون ؟
« مع أن الأمر واضح » ! (طبعاً له وليس لهم) !
وقد يتحول من الحزن والضيق إلى النرفزة والغضب !
وربما تسوء المعاملة ، وكثرة التوبيخ والإنتهار...
ولذلك قد يتعب كثيراً من يشتغلون تحت إمرة شخص ذكى ! فمع إعجابهم بفهمه وبكثير من أعماله ، يجدونه أحياناً ضيق الخلق ، كثير الأوامر، وقد يطلب منهم فوق ما يطيقون ! وقد يتضايق بلا سبب (فى

ظرهم طبعاً) ...

الذكى - أكثر من غيره - يقع فى إدانة الآخرين .

وربما دون أن يقصد ... إن عقله يفكر بسرعة ...

و يكتشف الأخطاء بسرعة ... وربما تلقائياً ...

وقد يشعر الذكى بالوحدة ... أو يميل إليها ...

لأنه ربما لا يستفيد كثيراً من الناس ... أو لأنه لا تعجبه تصرفاتهم ... أو لا يجد من توافقه صداقته !

ومثَل الفيلسوف ديوجينيس واضح : الذى رأوه يحمل مصباحاً فى النهار، فسألوه ، فقال «إننى أبحث عن إنسان» !

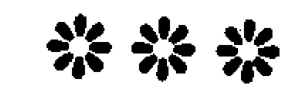
وهكذا قد يقع الذكى فى الكبرياء أيضاً ...

إما بدوام تفوقه ، أو بحديث الناس عن أعماله البارعة ، أو بمقارنته بغيره» وشعوره هو بالأفضلية ، أو تحدث الناس عنها ... وعموماً فإن فضيلة التواضع - بالنسبة إلى الأذكياء - قد تحتاج إلى مجهود أكبر...

وهنا قد يسأل البعض سؤالاً ذكياً وهو :

لماذا لا يكتشف الذكى بذكائه هذه الأخطاء و يتجنبها ؟

والإجابة أنه قد يكتشف أخطاءه . أما عن تجنبها ، فهنا الفارق بين العقلية والنفسية ، و بين العقل والروح .



[٣٤] ما معنى الزواج ؟

معناه فى المفهوم المسيحى أن إنساناً روحياً ، هيكل للروح القدس ، يقترن بإنسانة روحية ، هى الأخرى هيكل للروح القدس ، يربطهما الروح فى سر الزواج ، لكى يصيرا واحداً ...

لهذا ينبغى أن يكون الإثنان من نفس الإيمان ، الإيمان السليم ، لأن الروح القدس لا يجوز أن يربط متناقضات إيمانية .

بهذا الشكل ينجح الزواج . و يعمل الروح القدس فى كليهما عملاً روحياً ، متناسقاً ...

أما أن نربط اثنين غير تائبين ، بعيدين عن الروح القدس وعمله ، فليس هذا عملاً روحياً .

لهذا فإن الكنيسة تتقبل إعتراف الخطيبين ، وتناولهما من الأسرار المقدسة قبل زواجهما ، حتى يبدأ الإثنان حياة روحية سليمة ، معاً ، متعاونين ...

بهذا لا يكون الزواج مجالاً للخلافات الزوجية ، التى تحدث غالباً من عدم حياة الزوجين حياة روحية سليمة ...

إننا نحاول أن نضع القوانين للأحوال الشخصية ، وقد يرى البعض الإتساع فى أسباب الطلاق ، إذا بدت الحياة مستحيلة بين الزوجين ! ...

ولماذا مستحيلة ؟! لأنهما لا يعيشان بالروح ، كما يفهم من الزواج المسيحى ...

هذا البعض يريد زواجاً غير مسيحى (غير روحى) تحكمه شريعة المسيح التى تمنع الطلاق إلا لعلة ...

ولو عاش الزوجان مسيحيين ، فى حياة روحية ، لأمكن إلغاء بند الطلاق نهائياً من قانون الأحوال الشخصية ، إذ لا حاجة إليه ، لأن المحبة الكبرى التى تربط الزوجين ، لا يمكن أن تسمح مطلقاً بالطلاق ، بل على العكس ، بدلاً من الانفصال تتعمق العلاقة بالأكثر يوماً بعد يوم ...

إن أجمل تشبيه للزواج المسيحى ، والعلاقة بين الزوجين هو العلاقة بين المسيح والكنيسة . وعن هذا الأمر قال الرسول « هذا السر عظيم » (أف ٥ : ٣٢) .

أيوجد تشبيه أعمق من هذا ؟ أو حب أعظم من هذا ؟ « فليحب كل واحد إمرأته هكذا كنفسه » (أف ٥ : ٣٣) .

ليس الزواج المسيحى علاقة عابرة وتنتهى ! إنها علاقة العمر كله . المرأة بالنسبة إلى الرجل « لحم من لحمه ، وعظم من عظامه » (تك ٢ : ٢٣) ، هى جسده ، وهو رأسها ، وكلاهما جسد واحد . ومن أجلها يترك أباه وأمه ! ... ما أعجب هذه الأهمية .

* * *

[٣٥] الخــوف

هناك خوف صبيانى ، كالخوف من الظلام ، ومن الوحدة.

وهذا الخوف قد يستمر مع الإنسان فى كبره ، ويخاف الإنسان من غير سبب . إنه ضعف فى النفس .

نوع آخر من الخوف ، سببه الخطية ...

آدم بدأ يعرف الخوف بعد الخطيئة (تك ٣ : ١٠) . وكل إنسان يخطىء ، قد يخاف أن تنكشف الخطية ، ويخاف من سوء السمعة ، أو يخاف العقوبة ، أو من النتائج السيئة التى يتوقعها لخطيئته ...

هناك خوف آخر، سببه عدم الثقة بالنفس :

الخوف من الفشل ، أو من الرسوب ، أو من المستقبل الغامض ، أو خوف من مقابلة كبير أو رئيس ، أو من مواجهة موقف معين .

هذا الخوف أيضاً ناتج عن عدم إيمان .

عدم إيمان برعاية الله وحفظه . أما القديسون فما كانوا يخافون ، وذلك لشعورهم بوجود الله معهم ، وحمايته لهم .

« إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى » (مز ٢٢) ، « الرب نورى وخلاصى ممن أخاف » (مز ٢٦) .

هناك خوف آخر سببه عُقد نفسية من الصغر:

كابن كان أبوه يقسو عليه ، فغرس فيه الخوف ، بمعاقبته ، بانتهاره له ، وتوبيخه ، وإشعاره بالخطأ فى كل تصرف ، فأصبح لا يثق بأى عمل يعمله ، ويخاف ...

يضاف إلى كل هذا ، مخافة الله ...

« بدء الحكمة مخافة الله » . على أن الإنسان يتطور إلى أن يصل إلى محبة الله « والمحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج » (١يو٤ : ١٨) . على أن المقصود بخوف الله ، ليس الرعب ، إنما المهابة والخشية ، إنه خوف مقدس ...

قال السيد المسيح « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد . ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » (مت ١٠ : ٢٨) .

ومخافة الله تقود الإنسان إلى حفظ الوصايا ...

قال القديس أوغسطينوس « جلست على قمة هذا العالم ، حينما أحسست فى نفسى ، أنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً » ...

* * *

[٣٦] الصليب فى حياتنا « ب »

المسيحية بدون صليب ، لا تكون مسيحية ...

وقد قال الرب « من أراد أن يتبعنى ، فلينكر ذاته ، ويحمل صليبه ، و يتبعنى » (مت ١٦ : ٢٤) .

بل قال أكثر من هذا « من لا يأخذ صليبه و يتبعنى ، فلا يستحقنى . من وجد حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (مت ١٠ : ٣٨ ، ٣٩) .

والصليب قد يكون من الداخل ، أو من الخارج ...

من الداخل كما يقول الرسول « مع المسيح صُلبت . فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ » (غل ٢ : ٢٠) .

إنكار الذات إذن (لا أنا) ، هو صليب ...

وقليلون هم الذين ينجحون فى حمل هذا الصليب ...

أما الصليب الخارجى ، فهو كل ضيقة يتحملها المؤمن من أجل الرب ، سواء بإرادته ، أو على الرغم منه .

وعن هذا قال السيد الرب « فى العالم سيكون لكم ضيق » (يو ١٦ : ٣٣) ، وقيل أيضاً « كثيرة هى أحزان الصديقين » (مز ٣٤) ، وقيل كذلك « بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله » (أع ١٤ : ٢٢)

ولكن هذا الصليب ـ فى كل أحزانه وضيقاته ـ هو موضع

إفتخارنا ، وأيضاً موضع فرحنا .

وفى هذا يقول الرسول « حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح ، الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم » (غل٦ : ١٤) ، كما يقول أيضاً « لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات ، لأجل المسيح ، لأنى حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى » (٢كو١٢ : ١٠) .

كما ينصحنا معلمنا يعقوب الرسول قائلاً « احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة . عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً » (يع ١ ٢، ٣)

من محبة الكنيسة للصليب ، جعلته شعاراً لها ...

وكانت الكنيسة تُعلم أولادها محبة الألم من أجل الرب ، وتغرس فى فكرهم قول الكتاب « إن تألمتم من أجل البر فطوباكم » (١بط٣ : ١٤) .

بل إن الألم اعتبرته المسيحية هبة من الله ...

وفى ذلك قال الكتاب « ... لأنه وُهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) .

وفى الألم ، وفى حمل الصليب ، لا يترك الله أولاده ...

فإن قال المزمور « كثيرة هى أحزان الصديقين » إنما يقول بعدها « ومن جميعها ينجيهم الرب » ، كما يقول أيضاً « الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين » (مز١٢٥ : ٣) .

[٣٧] متى تتكلم؟

إن كنت تتكلم لمجرد الكلام ، فهذا شيء .

وإن أردت أن تصل بكلامك إلى نتيجة ، فهذا شيء آخر، يجعل كلامك هادفاً وفعّالاً ...

وفى هذا الوضع الأخير تلزمك نصائح نافعة :

*** تكلم حين تكون الأذن مستعدة لأن تسمعك :**

فإن وجدت من تكلمه غير مستعد لسماعك ، أسكت .

فلا تكلم شخصاً يكون مرهقاً أو متعباً نفسياً أو جسدياً ، أو تحيط به ظروف ضاغطة ...

ولا تكلمه إن كان مشغولاً ، وليس لديه وقت لسماعك ، أو ليس لديه وقت يتفهم فيه رأيك و يناقشه معك ... وكما قال الحكيم :

« تفاح من ذهب ، فى مصوغ من فضة ، كلمة مقولة فى محلها » (أم ٢٥ : ١١) .

تخيّر لمحدثك أفضل أوقاته ، وأليق حالاته ، وأحسن المناسبات ، لكى تعرض عليه رأيك و يكون مستعداً قلبياً وذهنياً ، لسماعك وفهمك ، وقبول كلامك ...

وإن كنت تريد أن تصل إلى نتيجة من كلامك :

*** إكسب محدثك ، تكسب الحديث كله ونتائجه :**

كثيرون يهدفون إلى كسب المناقشة بأية الطرق ، ولو بخسارة من يحدثونه ! ... فتكون النتيجة إنهم يخسرون كل شيء . فالمنطق وحده لا يكفي ، بدون النفسية ...

١ - إن من يحطم مناقشه ، و يثبت له أنه مخطىء ، و بخاصة أمام الناس ، لا يمكن أن يكسب منه خيراً ...

٢ - ومن يقاطع محدثه ، ولا يعطيه فكرة للكلام ، و يرد على كلامه قبل أن يكمله ، و يشعره بأنه خصم ، هذا لا يمكن أن يجد فى قلب محدثه قابلية للإستجابة ، أو للإقتناع ، مهما كان رأيه منطقياً .

٣ - ومن يتهكم على أفكار محدثه ، و يشرح له كيف أنها ضعيفة وتافهة ، أو غير عملية ، أو غير منطقية ، هذا أيضاً لن يصل إلى نتيجة ...

لذلك احترم رأى من تكلمه ، مهما كنت ضده ...

و بكل أدب ، و بكل لياقة ، يمكنك أن ترد عليه ...

حاول أن تصل إلى قلب من تكلمه ، قبل أن تصل إلى عقله .

وثق أنك إن كسبت القلب ، تكسب العقل أيضاً .

***

[٣٨] السلام القلبى

السلام القلبى هو ثمرة من ثمار الروح القدس فى القلب .

الروح القدس إذا سكن قلب إنسان يعطيه سلاماً قلبياً « يفوق كل عقل » كما يقول الرسول .

وكان السلام هو عطية السيد المسيح للناس ، فقال :

« سلامى أترك لكم ، سلامى أنا أعطيكم »

الشخص المملوء بالسلام لا يقلق ، ولا يضطرب ، ولا ينزعج مهما كانت الأمور ضاغطة من الخارج .

إن سلامه لا يعتمد على الظروف الخارجية ، وإنما يعتمد على ثقته بحفظ الله ورعايته وثقته بوعود الله .

مادام الله موجوداً ، ومادام يعمل ويحفظ ، إذن لا داعى للخوف . لهذا قال داود النبى « إن سرتُ فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى . عصاك وعكازك هما يعزيانني » (مز٢٢) .

إن مصدر سلامه هو شعوره أن الله معه .

تعب التلاميذ ، حينما كانوا فى السفينة ، وظنوا أن الرب نائم ، بينما البحر هائج . لهذا فقدوا سلامهم . كان العامل المسيطر هو الظروف الخارجية ، والإحساس بعدم عمل الرب ، فقام وانتهر الريح ، وأعاد إليهم سلامهم .

كونوا ثابتين من الداخل ، راسخين فى إيمانكم ، حينئذ لا تهزكم الظروف الخارجية . مثل البيت المبنى على الصخر، تعصف به الريح والأمطار، فلا تقدر عليه ، لأنه ثابت من الداخل .

السفينة السليمة تحيط بها الأمواج الشديدة وتلطمها فلا تؤذيها ، ولكن متى تتعب السفينة ؟ تتعب حينما يوجد بها ثُقب يوصل الماء إلى داخلها ... فهل يوجد ثُقب داخل نفسك يجعل المياه تتسرب إلى نفسك فتغرقها ...

القديس الأنبا أنطونيوس كان مثلاً للسلام القلبي . قال عنه القديس أثناسيوس الرسولى «مَن مِن الناس كان مُر النفس ومضطرب الخاطر، و يرى وجه الأنبا أنطونيوس إلا ويمتلىء قلبه بالسلام .

إن الإنسان المملوء بالسلام ، يستطيع أن يفيض بالسلام على الآخرين، ويريح غيره...

عيشوا إذن فى سلام ، حينئذ تستريحون ، وتعيشون فى طمأنينة وهدوء ، فى صحة روحية وجسدية ...

* * *

[٣٩] إحمل صليبك...
كن مصلوباً لا صالباً

إن كنت مصلوباً ، فاضمن أن الله سيكون معك ، و يرد لك حقك كاملاً ، إن لم يكن هنا ، ففي السماء .

أما إن كنت صالباً لغيرك ، فثق أن الله سيقف ضدك ، حتى يأخذ حق غيرك منك ، و يعاقبك .

إن كنت صالباً لغيرك ، إعرف أن فيك عنصر الشر والإعتداء والعنف . وكلها نواحٍ من الظلم لا تتفق مع البر الواجب عليك ، ولا حتى مع المثالية الإنسانية التي يتطلبها العلمانيون ...

أما إن كنت مصلوباً ، وبخاصة من أجل الحق ، أو من أجل الإيمان ، فاعرف أن كل ألم تقاسيه هو محسوب عند الله ، له إكليله فى السماء ، و بركته على الأرض ...

وثق أن السماء كلها معك : الله والملائكة والقديسون ...

إن كل الذين تبعوا الحق ، تحملوا من أجله .

وكل الذين تمسكوا بالإيمان ، دفعوا ثمن إيمانهم ...

وتاريخ الشهداء حافل بقصص الذين سفكوا دماءهم من أجل الإيمان... وتاريخنا بالذات كله من هذا النوع ...

إن العنف يستطيعه أى أحد ، ولكنه لا يدل على مثالية . والظلم
ى بإمكان أى أحد ، ولكن لا يوجد دين يوافق عليه ...

لذلك احتفظ بمثالياتك وخلقك ، واحمل صليبك . والباطل الذى
بك ، لن يدوم إلى الأبد ...

إن السيد المسيح الذى ذاق مرارة الألم واحتمل الصلب ، قادر أن
المتألمين والمصلوبين فى كل زمان ، وفى كل موضع ...

لذلك ضع أمامك صورة المسيح المصلوب ، تجد تعزية ...
وثق أنه بعد الجلجثة ، توجد أمجاد القيامة ...

إن دم نابوت اليزرعيلى ، رآه الله وهو يُسفك ولم يصمت الرب ، وكان
قوياً ...

لذلك « إنتظر الرب . تقو وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب » كما يقول
فى المزمور...

إن كنت مصلوباً ، سيكون المسيح إلى جانبك ... سيرى فيك صورته
ن إذن صورة المسيح ...

❊ ❊ ❊

[٤٠] روحياتك فى الخماسين

حقاً إن أيام الخماسين أيام فرح ، وليس فيها صوم ، ولا مطانيات ، حتى فى يومى الأربعاء والجمعة ...

ولكن فى الفرح أيضاً ، يمكن أن نكون روحيين ...

وإلا كيف سنكون روحيين فى الفردوس ، وفى ملكوت السموات حيث النعيم الدائم ؟!...

ما تفقده من الصوم والمطانيات ، يمكن أن تعوضه بمزيد من الصلاة ، ومزيد من القراءات الروحية ، ومن التأمل ، ومن الألحان والتراتيل ، عملاً بقول الكتاب «أمسرور أحد بينكم فليرتل» ...

ويمكن أن تتغذى بالتأمل فى محبة الله ، التى صنعت كل هذا الخلاص ... محبة الرب الذى شاء أن يقضى مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة ، يلتقى بهم ، ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله» (أع ١ : ٣) .

تدرب فى هذه الفترة على الحديث مع الرب ، والتواجد فى حضرة الله ، بالمزامير ، والصلوات الخاصة ، وصلوات الشكر على خلاص الله العجيب ... مع البعد عن أى شىء يعوق وجودك فى الحضرة الإلهية ...

عِش فى حياة الفرح بالرب . ولكن لا تجعل فرحك فرحاً جسدانياً بالتسيب الزائد فى الأكل .

فالإفطار ليس معناه التمادى فى شهوة الطعام .

إستخدم ضبط النفس أيضاً فى حالة عدم الصيام ...

[٤١] ما معنى الغَـيْرة؟

الغيرة هى اشتعال القلب والإرادة ، كما بنار ، لعمل ما يعتقد الإنسان أنه الخير ... وقد يتحمس الإنسان وتملكه الغيرة بسبب شيء خاطيء ، كما قال بولس الرسول عن ماضيه « من جهة الغيرة ، مضطهد للكنيسة » (فى ٣:٦).

بينما نجد غيرة مقدسة ، كالتى قال عنها المرتل « غيرة بيتك أكلتنى » (مز٦٩:٩). نجد غيرة أخرى خاطئة (غل٥:٢٠)، وغيرة « قاسية كالهاوية » (نش٨:٦). ولهذا قال الرسول :

« جيدة هى الغيرة فى الحسنى » (غل ٤ : ١٨) .

ذلك لأنه توجد غيرة غيرسليمة ، كالتى قال عنها الرسول لأهل رومية « أشهد أن لهم غيرة الله ، ولكن ليس حسب المعرفة » (رو١٠:٢).

ما هى إذن هذه الغيرة التى ليس حسب المعرفة ؟

* قد يغار الإنسان بجهل ، متحمساً لمحاربة شيء ، دون معرفة ، دون تحقيق ، دون تدقيق ، لمجرد السماع ، كما قال المسيح « تأتى ساعة ... يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » ! إنها غيرة ليست حسب المعرفة ، كغيرة شاول الطرسوسى التى قال عنها « ولكنى رُحمت ، لأننى فعلت ذلك بجهل » ...

لذلك لا تتحمس بسرعة ، بل اخلط حماسك بالمعرفة ...

ولا تصدق كل ما يقوله لك أى أحد ، عن أخطاء الآخرين ، وعن مطالب الإصلاح ... إنما تعقل ، وادرس ، وافحصوا كل الأشياء ، وتمسكوا بالحسنى » ...

*** وقد تكون الغيرة مخطئة فى وسائلها وطرق التعبير...**

مثل بطرس الذى غار للرب ، ورفع سيفه ، وقطع أذن العبد . ومثل يوحنا و يعقوب اللذين قالا للرب عن إحدى مدن السامرة التى رفضت الرب « هل تشاء يارب أن تنزل نار من السماء وتحرق هذه المدينة ؟ » ...

وإنسان قد تملكه الغيرة ، فيقع فى الشتيمة والتشهير، أو الإيذاء والضرب ، أو الثورة والتخريب ، و يتحول إلى آلة هدم ، يحطم كل ما يقابله بطريقة غير روحية .

إنها أيضاً غيرة ليست حسب المعرفة ، لأنه لا يعرف الطريقة الروحية السليمة التى يعبّر بها عن غيرته .

هناك أربعون شخصاً من اليهود ، نذروا أنهم لا يأكلون ولا يشربون شيئاً ، حتى يقتلوا بولس ...

*** وهناك غيرة خاطئة ، لأنها مخلوطة بالأنانية ، والتحزب ...**

مثل غيرة يشوع لأجل موسى النبى ، لما رأى اثنين يتنبآن ... « هل تغار لى؟ يا ليت كل شعب الله كانوا أنبياء » (عد١١ : ٢٩) .

***

[٤٢] العنف

العنف لا يحبه أحد من الناس .

بل يكرهونه ، و ينفرون منه ، ومن العنفاء .

وفى نفس الوقت يحبون الوداعة والطيبة والرقة .

والعنف إذا وصل إلى غرض ، يكون وصوله مؤقتاً .

إن ابتعد العنف ، زال كل ما وصل إليه .

لذلك ، فكثير من العنفاء ، يستمرون هكذا طول العمر . يخافون أن تفشل أمورهم إن تركوا عنفهم ، ويخافون انتقام الغير وغضبهم فى نفس الوقت ...

وقد كان العنف سلاح الطغاة فى كل جيل ، وأيضاً سلاح الإرهابيين والمتمردين والقساة ...

هؤلاء يتعاملون مع إرادة الناس ، وليس مع قلوبهم ...

يرغمون الغير على عمل شىء ، بالسيطرة على إرادتهم ... وقد تكون قلوبهم غير راضية ، وعقولهم غير مقتنعة . لذلك إن تم (إصلاح) ، إنما يكون من الخارج ، والإصلاح الحقيقى إنما ينبع من داخل القلب ...

وهذا نقوله فى الأخلاقيات أيضاً ...

إن العنف لا يبنى خلقاً ، بل مظهرية خلقية .

قد يولد العنف خضوعاً لنظام ، أو احتراماً لقانون ، ولكنه لا يؤسس قلباً نقياً يحب الخير...

وهكذا بالطاعة للعنف ، قد يتحول المطيع إلى إنسانين :
إنسان خارجي ، له مظهر التقوى ، وإنسان داخلي محب للخطية ، وقد يتحول إلى الصورة التي سجلها المسيح « قبور مبيضة من الخارج ، وفي الداخل عظام نتنة » .

إن الله نفسه يقول « يا إبني إعطني قلبك » .
يريد القلب ، وليس المظاهر الخارجية .
وبهذا يكون مقياس الخير الذي يقدمه الإنسان ، هو مدى محبة الإنسان لهذا الخير واقتناعه به .

وإذا أحب الإنسان الخير ، يعمله دون ضغط عليه من عنف خارجي ، دون خوف ، ودون سعي إلى ثواب أو مديح أو أجر من أي نوع ...

وقد جاء المسيح يدعو إلى الخير ، بغير عنف .
لا يرغم الناس على عمل الخير ، بل يحببهم فيه ، ويسكّنه داخل قلوبهم وعواطفهم ، دون أن يضطرهم إليه اضطراراً . إنه لا يريد عبيداً يسيرون بالخوف ...

ما أتفه الخير ، الذي يتم عن طريق العنف .

❊ ❊ ❊

[٤٣] الطريق الروحي

حياة التوبة هي بداية الطريق الروحي ، لأنها انتقال من مقاومة لله ومعاداته إلى السير في طريقه .

ولكن الطريق طويل ، يهدف فيه الإنسان إلى أن يحيا حياة القداسة ، التي « بدونها لا يعاين أحد الرب » . وقد قال الرب « كونوا قديسين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو قدوس » .

والقداسة درجات ، ينمو فيها الإنسان واضعاً أمامه مثال الرب نفسه لكي يقترب إلى صورته ومثاله ...

وهكذا يتطور المؤمن من مجرد حياة القداسة ، ساعياً نحو الكمال ، الذي يطالبه الرب به .

فقد أمرنا الرب بهذا الكمال ، في قوله « كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل » .

إن بولس الرسول ، الذي صعد إلى السماء الثالثة ، ورأى أشياء لا ينطق بها ، الذي منحه الرب مواهب كثيرة واستعلانات ، واختاره ليحمل إسمه بين الأمم ، فتعب أكثر من جميع الرسل ... بولس هذا يقول عن كل القمم الروحية التي وصل إليها « ليس إني قد أدركت ، أو صرت كاملاً ، ولكني أسعى لعلي أدرك ... أفعل شيئاً واحداً ، إذ أنا أنسى ما هو

وراء ، وأمتد إلى ما هو قدام ، أسعى نحو الغرض ... » ويختم نصيحته بقوله « فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (فى ٣ : ١٢-١٥) .

ما هو هذا (القدام) الذى يسعى إليه بولس ؟

إنه يقول لأهل أفسس « حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق ، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة ، لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله » (أف ٣ : ١٩) .

ما أعجب عبارة « تمتلئوا إلى كل ملء الله » ...

الكمال فى الطريق الروحى ، ليس له حدود ...

كلما تجتاز مرحلة منه ، تشعر أن أمامك مراحل أخرى طويلة ... كأنك لم تتقدم شيئاً ، فتزداد انسحاقاً .

تكون كمن يطارد الأفق . كلما تصل إلى المكان الذى تظن فيه السماء منطبقة على الأرض ، تجد هذا المكان قد امتد أمامك ... إلى غير حدود .

مادام الأمر هكذا ، فلنتقدم إذن إلى أمام ...

فإن كنا لم نصل بعد إلى التوبة ، أى إلى بداية الطريق ! ... فهل نقول إننا خارج طريق الله ؟!

❊ ❊ ❊

[٤٤] الوسائل

غالباً ما تكون مشكلة الناس هى الوسائل لا الأهداف .

كل إنسان يهدف بلا شك إلى سعادة نفسه ، وغالباً ما يهدف أيضاً إلى سعادة غيره . ولكن مشكلته الأولى . هى الوسائل التى يستخدمها للوصول إلى أهدافه .

البعض يلجأ إلى وسائل غير روحية ...

والبعض يلجأ إلى ذراع بشرى يعتمد عليه ...

والبعض يلجأ إلى أسهل الوسائل وأقربها ، وليس إلى أنجح الوسائل وأضمنها وأنقاها ...

والبعض يلجأ إلى نصيحة المقربين إليه ، دون أن يفحص هذه النصائح أو يناقشها ... أو هو يلجأ إلى الطرق المعتادة بين الناس ، دون فحصها أيضا ...

وكثيراً ما تؤدى الوسائل ، إلى عكس ما يطلب ...

ومع ذلك ، فقد يستمر فيها الشخص ، دون أن يتعظ !

يستمر ، إما بدافع العناد ، أو قلة الحيلة ، أو بمجرد الثقة فى غيره ، أو اعتماداً على الزمن أو الوقت لعله يأتى بنتيجة ...

والعاقل الحكيم ، هو الذى يختار الطريق والطريقة ...

يختار الطريق الصحيح القادر أن يوصله .

ويختار الطريقة السليمة التى لا خطأ فيها .

ويختار النصيحة الحكيمة ، غير معتمد على رأى واحد .

فالله خلق للإنسان أذنين : بإحداهما يسمع الرأى الأول ، و بالأخرى يسمع الرأى المضاد . والعقل فى وسطهما ، يزن كلاً الرأيين ويختار الأفضل ...

والإنسان الحكيم ، يغير وسائله ، إذا ما ثبت له أنها خاطئة ، أو أنها لا توصله إلى خير...

أما الذى يستمر سائراً فى طريق يبدو أمامه مسدوداً ، أو يرى أنه كثير الحفر والمطبات ، وكثير الأخطاء والأخطار ، فلا شك أن هناك عيباً فى قلبه أو فى طريقة تفكيره ...

فكثيراً ما يمتنع الإنسان من تصحيح مسيرته بدافع الكبرياء ...

حرصاً على كرامته أو على سمعته ، من أن يقول الناس عنه إنه غيَّر طريقه ، كأنه يعترف بخطأ ذلك الطريق ! ... ولكن ما أكثر القديسين الذين غيَّروا طريقهم ، دون أن تعوقهم مشاعر من كبرياء .

وكثيرون لم يغيروا طريقهم ، فتدخل الله لتغييره ...

مثل لوط ، وشاول الطرسوسى ، و يونان النبى ، وموسى ، وآخرون .

❊ ❊ ❊

[٤٥] تواضع الله فى تمجيده لأولاده

الله لم يشأ أن يكون موجوداً وحده ، فأنعم بالوجود على كائنات أخرى صارت موجودة بمشيئته « ومن تواضع الله أنه حينما خلق الإنسان ، خلقه فى مجد » ... على صورة الله وشبهه ومثاله .

فكانت صورة الله أول مجد للإنسان ...
وكانت البنوة لله مجداً آخر أعطاه للإنسان ...

و يقول الكتاب : « الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهين لصورة إبنه ... والذين سبق فعينهم ، فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم ، فهؤلاء **مجدهم** أيضاً » (رو٨ : ٢٩ : ٣٠) .

« الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد ، إلى حرية مجد أولاد الله » (رو٨ : ٢١) .

ونقرأ فى الكتاب عن إكليل المجد ، وعن المجد العتيد أن يستعلن فينا (رو ٨ : ١٨) . وأننا إن كنا نتألم مع الرب ، فسنتمجد معه (رو٨ : ١٧) .

إنها أمجاد كثيرة تنتظر الإنسان فى الأبدية ، غير الأمجاد التى يمنحها الله له فى العالم ...

و يقول فى المزمور (٩١ : ١٤ ، ١٥) « لأنه تعلق بى أنجيه . أرفعه لأنه عرف إسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق ، أنقذه وأمجده » .

إن الله يفرح حينما يمنح المجد لأولاده ...

ولكن المجد الذى للناس شيء ، والمجد الخاص بالله وحده شيء آخر... ذاك هو مجد لاهوته .

مجد لاهوته لا يعطيه لآخر . إنه مجد الله فى الأعالى . إنه المجد غير المحدود وغير المدرك ، الذى نقول له عنه « لك المجد والعز والسجود » .

مهما نال الإنسان من مجد ، فلن يؤثر هذا على مجد الله . فالنار قد تضيء منها مليون شمعة دون أن تنقص منها شيئاً ...

مبارك الرب الذى مجد أولاده بأنواع وطرق شتى : منها مواهب الروح القدس ، واجتراح المعجزات ، وما أعطاهم من سلطان على الشياطين وكل قوات العدو، وجعلهم هيكلاً لروحه القدوس ، ومنحهم التبنى والمجد (رو٩ : ٤) .

* * *

[٤٦] الحكمة

كل فضيلة تخلو من الحكمة ، ليست فضيلة .

فالمحبة مثلاً يجب أن تكون محبة حكيمة ، وإلا تنحرف إلى التدليل ، أو العطف الضار ...

والحديث أيضاً والوعظ ، يجب أن تندمج فيه الحكمة ، فتعرف ماذا تقول ، ومتى تقوله ، وكيف ...

والحكمة كانت صفة يجب توافرها فى جميع الخدام ، وليس فقط فى الكبار كالأساقفة ، بل حتى فى الشمامسة ، إذ قال الآباء الرسل «إختاروا أنتم أيها الأخوة سبعة رجال منكم مملوئين من الروح القدس والحكمة ، فنقيمهم نحن على هذه الحاجة» (أع٦ : ٣) .

الحكمة تمنح صاحبها بصيرة روحية ، واستنارة فى الفهم ، تؤدى إلى الإفراز والتمييز .

وقد سُئل القديس الأنبا أنطونيوس عن أعظم الفضائل فقال هى الإفراز ... لأن الفضائل بدون الإفراز قد تهلك أصحابها ...

وهناك حكمة نازلة من فوق (يع ٣) ، كإحدى مواهب الروح القدس (١ كو١٢) . والذى تعوزه حكمة فليطلبها من عند أبى الأنوار.

وليطلبها عند الآباء والشيوخ والمرشدين الروحيين الذين وهبهم الله الحكمة والفهم ...

وقد يحصل الإنسان على الحكمة نتيجة الخبرة ، والإستفادة من أخطائه ومن أخطاء غيره . وقد يحصل على هذه الحكمة نتيجة المداومة على القراءة النافعة ، أو نتيجة معاشرة الحكماء والتلمذة على أساليبهم الحكيمة فى الكلام والتصرف .

إن سليمان ، لم يطلب من الله غنى أو سلطة ، وإنما طلب منه حكمة لتدبير الشعب . فطوَّبه الله ومنحه الحكمة . وما أجمل ما قاله سليمان : « الحكيم عيناه فى رأسه ، أما الجاهل فيسلك فى الظلام » .

والحكمة تستلزم التروى والتفكير ، والنظر إلى الأمر من جميع زواياه ، واستعراض كل نتائجه قبل فعله . وعدم التصرف فى حالة إنفعال أو غضب ، أو لمجرد السماع .

والحكمة تحتاج إلى ذكاء ، واتساع فى الفكر ...

ولا تتفق مع العناد والغرور والتشبث بالرأى ...

* * *

[٤٧] أبديتـــك

غالبية الناس يفكرون فقط فى حياتهم على الأرض ، كل رغباتهم مركزة فى هذه الحياة الأرضية . وكل تعبهم وجهادهم هو من أجلها . أما أبديتهم ، فربما لا تخطر لهم على بال ...

إن حياتك كلها على الأرض ، لا تساوى طرفة عين إذا ما قورنت بالأبدية التى لا نهاية لها ...

وحياتك على الأرض ما هى إلا إعداد أو تمهيد لتلك الأبدية ، حياة الخلود ...

ربما تمسُّك بكرامة أرضية ، يُضيِّع عليك كل الكرامة التى ينالها القديسون فى المجد الأبدى ...

ومع ذلك فأنت ما تزال تتمسك بهذه الكرامة الأرضية . وتضحى فى سبيلها بأبديتك . وكأنك لا تعى !!

وربما تمسكك ببعض الملاذ الأرضية الوقتية أو الزائلة ، يفقدك كل النعيم الأبدى وسعادة الخلود ...

عليك إذن أن تقتنع بأهمية الأبدية ، وتضعها باستمرار أمام عينيك . ويصبح كل شىء رخيصاً إلى جوارها .

ما أجمل قول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس :
« غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى ، بل إلى التى لا ترى . لأن التى ترى وقتية ، أما التى لا ترى فأبدية » (٢ كو٤ : ١٨) .

حقاً ، فى هذه النظرة ، يتجلى الفارق الأساسى بين الإنسان الحكيم ، والإنسان الجاهل .

الجاهل نظرته قصيرة لا تتعدى المرئيات والحياة الأرضية . أما الحكيم فينظر إلى بعيد ، إلى ما بعد الموت ... ويظل يفكر : ماذا سيكون مصيرى بعد أن أخلع هذا الجسد ؟ أين سأذهب ؟ وماذا سأكون ؟ .

وأنت أيها الأخ ، بماذا أنت مشغول ؟ ...
وأين وضعت قلبك ؟ هنا أم هناك ؟ ...
لأنه حيث يكون قلبك ، يكون كنزك أيضاً ...

إن الحكماء يشعرون أنهم غرباء على الأرض ، ولا يركزون آمالهم فى الأرض ، بل « ينتظرون المدينة التى لها الأساسات ، التى صانعها وبارئها الله » (عب ١١) .

والذى يهتم بأبديته ، يرتفع فوق مستوى الأرض والأرضيات . ولا يستهويه شىء مما فى هذا العالم .
العالم كله خلفه ، وليس أمامه ...

***

[٤٨] ثلاث فضائل

ثلاث فضائل ، ينبغى أن تدخل فى كل فضيلة ، لتصبح فضيلة حقيقية : وهى المحبة والتواضع والحكمة .

كل فضيلة خالية من المحبة ، لا تحسب فضيلة . وكذلك كل فضيلة خالية من الإتضاع ومن الحكمة .

فكل عمل بعيد عن الحب ، هو بعيد عن الله .

والله يأخذ من كل فضيلة ما فيها من حب ، فإن لم يجد فيها حباً ، يبعدها عنه بالجملة .

كذلك الفضيلة الخالية من الإتضاع ، هى مرفوضة من الله ، وهى طعام للبر الذاتى والمجد الباطل . فأكثر شىء يكرهه الله هو الكبرياء . وقد قال الكتاب إن الرب يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعون فيعطيهم نعمة ...

كذلك ينبغى أن تمارس كل فضيلة فى حكمة ، بفهم وعقل وإفراز... ومن غير الحكمة والفهم ، لا تحسب الفضيلة فضيلة ...

ولهذا كان القديسون يمارسون الفضائل تحت إرشاد آباء عارفين مختبرين ، لكى يعلموهم الإفراز ، و يفهموهم كيف تكون الفضيلة ... و يشرح لنا التاريخ كيف أن الذين سلكوا فى الفضيلة بلا معرفة ، سقطوا وضاعوا ...

كثيرون سلكوا فى الصوم بلا حكمة ، فتعبوا جسدياً وروحياً . وكثيرون مارسوا الصمت بغير حكمة ، فأوقعوا أنفسهم فى مشاكل وأخطاء ، ولم يكن الصمت بالنسبة إليهم فضيلة .

والبعض سلكوا فى العطاء بلا معرفة ، فأعطوا مال الله للمحتالين بدلاً من إعطائه للمحتاجين ...

لهذا قال القديس أنطونيوس إن الإفراز هو أعظم الفضائل لأنه يحكمها و يدبرها جميعاً ...

والرعاية والخدمة بلا إفراز ، قد تعقد الأمور بدلاً من علاجها . ولهذا اشترط الآباء الرسل أن يتصف الشمامسة بالحكمة إلى جوار امتلائهم بالروح القدس (أع ٦) ...

إن الحكمة تعطى الفضيلة عمقاً وصدقاً ...

والمحبة تعطى الفضيلة عاطفة وشعوراً ...

أما التواضع فيخفى الفضيلة عن حسد الشياطين ، وإذ يخفى الفضيلة ، يعطى صاحبها استحياء ، كما يعطيه محبة فى قلوب الناس ...

ليتنا نختبر أنفسنا : هل هذه الفضائل فى أعماقنا ؟

[٤٩] الحب الحكيم والحب الجاهل

هناك حب حكيم يفيد صاحبه ، حتى إن سبب له شيئاً من الألم ! ولكنه نافع لروحه وأبديته .

وهناك حب جاهل يضيع صاحبه ، وإن بدت فيه ملامح من الشفقة والحنو...

قد تحب شخصاً ، فتؤيده فى الحق والباطل ، وربما تشجعه حتى فى الخطأ ، فتهلك نفسه ، وتهلك نفسك معه . و يكون حبك حباً خاطئاً .

وقد تحب إنساناً ، فتشفق على جسده من التعب ، ومن الجهاد ، ومن النسك ، فتضره ، وتضيع روحه وعقله ومستقبله ! إنه حب جاهل ...

وأم قد تحب طفلها ، فتدلله ، فتفسده ... أو تحبه فى كبره وتود أن يبقى إلى جوارها ، فتمنعه عن التكريس ، أو تمنعه عن الرهبنة أو عن الكهنوت ! و يكون حبها له حباً أنانياً ضاراً !!

وشخص يحب قريبه المريض ، فيخفى عنه خطورة مرضه ، ولا يعطيه فرصة يستعد فيها لأبديته . إنه أيضاً حب غير روحى ، وغير حكيم .

الحب الحقيقى حكيم وروحى ، ويهدف إلى خلاص النفس ، محبة لا تجامل على حساب الحق ، ولا تشترك فى خطايا الآخرين ... محبة طاهرة مخلصة كمحبة الله ...

[٥٠] الوقت المناسب

قال الكتاب : « لكل شيء زمان ، ولكل أمر تحت السموات وقت » (جا٣ : ١) . والعمل الروحي ينبغي أن يعمل في الحين الحسن .

الرب حينما تجسد ، تجسد في « ملء الزمان » . في أنسب وقت ، بالنسبة إلى إكمال النبوات ، واستعداد العالم لقبول الكلمة ، وفهم عمل الفداء .

وعلمنا بهذا أن نضع الوقت المناسب في اعتبارنا : في العمل ، في الكلام ، في الصمت ، في الخدمة ، في كل شيء ... مثل النباتات التي لا تزرع إلا في موسم معين ، في الجو المناسب ، حرارة وبرودة ورياحاً .

ومن جهة الكلام يقول الكتاب « للسكوت وقت ، وللتكلم وقت » (جا٣ : ٧) . وقيل أيضاً « تفاحة من ذهب في مصوغ من فضة ، كلمة مقولة في وقتها » . والإنسان الحكيم لا يتكلم في الوقت الذي يجب فيه الصمت ، ولا يصمت في الوقت الذي يجب فيه الكلام ...

إن عاتبت إنساناً ، تخير الوقت المناسب للعتاب ، وإلا أتى عتابك بعكس ما تريد ... إنتهز الوقت المناسب الذي يكون فيه غيرك مستعداً لسماعك ، ومستعداً لقبول كلامك .

ولا تطلب من أحد شيئاً فى وقت يكون فيه مشغولاً ، أو متعباً ، أو متضايقاً ... فإن هذا ليس بالوقت المناسب الذى تطلب فيه شيئاً...

على أنه إن كان لكل شيء وقته المناسب ، إلا أن التوبة بالذات يصلح لها كل وقت ...

لا تقل : حينما يأتى زمان التوبة ، سأتوب ! ... حينما أجد فرصة مناسبة سأتوب . فالآن وقت مقبول ، والآن ساعة خلاص . كما يقول الرسول ...

ومع ذلك ، فهناك أوقات نعتبرها أكثر مناسبة ، وأكثر تأثيراً «إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» ...

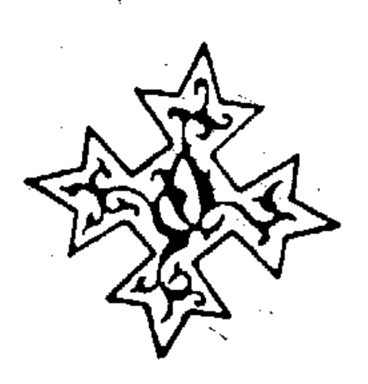
ولهذا هناك أشخاص نهازون للفرصة . لا يتركون الفرصة تفلت من أيديهم ، حينما تعمل النعمة فيهم ...

إن تأثروا بكلمة سمعوها ، فهذا وقت مناسب ، مثلما سمع الأنبا أنطونيوس كلمة فغيرت حياته . أو رأى أمامه حادثة معينة (موت أبيه) فانتهزها ، وأخذ منها كل ما فيها من تأثير جعله يزهد الحياة ...

***

فهرست

صفحة




في هذا الكتاب
مبارك هو الإنسان ، الذي
يصغي إلى كلمة المنفعة .
ومبارك بالأكثر من يحول
الكلمة إلى حياة ، فيحياها ،
ولا يقتصر على القراءة
والسماع .
مبارك من يدخل إلى
أعماق الكلمة ، ويدخلها إلى
أعماقه ، ويتفاعل معها .
وهكذا تتميز قراءاته بالجدية ـ
وأمامك بضعة كلمات ...
يمكن أن تتوالد داخل قلبك ،
وداخل فكرك ، وتفتح لك مجالاً
من التأمل ، ومجالاً آخر من
التداريب الروحية .
شنوده الثالث
الثمن ٩٠ قرشا